مذكرة على العقيدة الواسطية

كتبه

أبو حازم
محمد بن حسني القاهري السلفي

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

مذكرة

على

العقيدة الواسطية

كَتَبَهُ

أَبُو حَازِم مُحَمَّد بن حسني القاهريّ

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع



81 شارع الهدي المحمدي متفرع من شارع أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
الجوال : (002)01140110099 - (002)01007610099
البريد الإلكتروني :
dar_sabilelmomnen@yahoo.com
dar_sabilelmomnen@hotmail.com
للتواصل عبر الفايسبوك :
https://www.facebook.com/dar.sabilelmomnen
حسابنا على تويتر :
https://twitter.com/sabilelmomnen

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ:

«إنما الأعمال بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه».

متفق عليه[1].

قال المحدِّث الإمام عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد أن يصنف كتابًا؛ فليبدأ بحديث: «**الأعمال بالنيات**»»[2].

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبه صدَّر البخاري كتابه «الصحيح»، وأقامه مقام الخطبة له؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله؛ فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا، ولا في الآخرة» اهـ[3].

---

(١) رواه البخاري (١، ومواضع)، ومسلم (١٩٠٧) - واللفظ له -، كلاهما من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البيهقي في «الصغرى» (٣)، وغيره.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٩).

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذا مشروع «مذكرات المتون»، استخار العبد الفقير ربه في القيام به، سائلا إياه الإخلاص، والتوفيق، والنفع، والقبول.

*** التعريف بالمشروع:**

هو عبارة عن مذكرات توضع على المتون التي يشرحها العبد الفقير، وهي الموجودة -أصالة- في «البرنامج العلمي»(١)، وقد يُضم إليها غيرها، بحسب ما تظهر الحاجة إليه.

*** وصف المشروع:**

يقوم على تجريد المسائل العلمية التي اشتمل عليها المتن المعين، وترتيبها، وصياغتها بأسلوب مختصر سهل محرَّر.

فليست المذكرات -إذن- في صورة الشروح المعروفة للمتون، وإنما تؤخذ فيها المسائل -نفسها-، على الصورة التي ذكرتُها.

فمثلا: عندما توضع مذكرة على «الأصول الثلاثة»؛ فإنها تحتوي على المسائل التي وردت في هذا المتن: الأصل الأول كذا، وتحته مسائل: المسألة الأولى كذا، وتفصيلها كذا كذا؛ ولا يقال: قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذا، وشرح كلامه كذا؛ ثم تُستخلص المسائل بعد ذلك؛ فإن هذا إنما يحدث في الشرح الصوتي.

---

(١) البرنامج ينشر عبر قناة للشيخ أبي حازم على تطبيق تيليجرام، بعنوان: قناة الشيخ أبي حازم القاهري السلفي (https://t.me/abuhazemsalafi).

*** الهدف من المشروع:**

تسهيل وتقريب المسائل العلمية لطالب العلم، بحيث يسهل عليه إتقانها، بل حفظها -إن شاء-؛ ويسهل عليه الرجوع إليها متى شاء.

وواضحٌ أن هذا عندما يكون في صورة، تُسرد فيها المسائل -مباشرة-، مع الاختصار، وسهولة العبارة؛ فإن هذا يكون أنفع -بكثير- للطالب، ويوفر عليه جهدا ووقتا كبيرا، في تفريغ الشرح الصوتي، وتمييز المسائل منه، ومحاولة اختصارها وجمعها؛ ومعلوم أن الهدف من دراسة المتون -أصالة- هو إتقان المسائل التي وردت فيها؛ فعندما يحصل عليها الطالب جاهزة ومحررة، ومن نفس الشيخ الذي شرح المتن؛ ففائدةُ هذا لا تخفى.

*** هل تغني المذكرات عن الاستماع للشروح الصوتية؟**

كلا؛ بل في كلٍّ منهما فائدة:

ففائدة الشرح الصوتي: فهم عبارات المتن، وفَكُّ ألفاظه؛ وفي ذلك فوائد وتنبيهات يحتاج إليها الطالب -بلا شك-.

وفائدة المذكرة: إتقان المسائل الواردة في المتن، على الوجه المبيَّن آنفًا.

*** الخطة العملية للمذكرات، والربط بينها وبين الشروح الصوتية:**

أما المتون التي سبق شرحها في المستوى الأول من البرنامج؛ فسوف تخرج المذكرات الخاصة بها تباعا -إن شاء الله-.

وأما المتون الجديدة؛ فسوف ينتهي شرحها الصوتي أولا -إن شاء الله-، ثم بعد ذلك تخرج المذكرات الخاصة بها -إن شاء الله-؛ أي: عندما ننتهي من المتن المعين؛ تخرج المذكرة الخاصة به.

وهذا في المتون الصغيرة، وأما المتون الطويلة -وخصوصا في الفقه-؛ فسوف تخرج مذكراتها في أثناء شروحها -إن شاء الله-؛ أي: عندما ننتهي من الباب المعين، أو من عدة أبواب مناسبة؛ تخرج المذكرة.

فالتوجيه -إذن- لإخواني: ألا يتعبوا أنفسهم في تفريغ الشروح الجديدة، وإنما يقتصرون على تدوين فوائد أو مسائل، بصورة مختصرة، على سبيل المراجعة المتجددة -فقط- لكل درس جديد؛ وعندما تخرج المذكرات؛ تبدأ المذاكرة الحقيقية.

وهذه مذكرة «**العقيدة الواسطية**»، للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ والشرح الصوتي لها موجود ضمن البرنامج المحال عليه سلفا.

نسأل الله التوفيق، والاستعمال في الطاعة والخير، والإعانة على ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة
إثبات وجود اللّه تعالى

*** مسألة (١): مذهب أهل السنة والجماعة في معرفة الله -تعالى-:**

يُعرف الله بالآيات التي تدل عليه، وهي على ضربين:

١-آيات كونية عقلية:

وهي المخلوقات الموجودة في الكون، فإنها تدل على وجود خالق لها؛ إذ ما من حادث بعد العدم إلا وله مُحْدِث، وهذا المحدث لا بد أن يكون غير مُحْدَث؛ إذا لو كان محدَثًا؛ للزم التسلسل الباطل (من الذي أحدثه، ثم من الذي أحدثه، وهكذا).

والقرآن قد قرَّر هذا الدليل العقلي كثيرا، في الآيات الآمرة بالنظر والتفكر في المخلوقات، وفي مثل قوله -تعالى-: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

٢-آيات شرعية سمعية:

وهي على ضربين:

أ-خبرية: وهي ما أخبر به الله عباده عن نفسه وصفاته.

ب-إنشائية: وهي التكليف والأمر والنهي، فإنه دال على آمِرٍ وناهٍ، ومُثيب ومعاقِب.

فرع:

معرفة الرب ضرورية فطرية، فلا يؤمر المسلم عند بلوغه بالنظر والاستدلال على وجود الرب، بل يؤمر بالتكاليف الشرعية -مباشرة-.

وأما الكافر؛ فإنه يخاطَب بالتوحيد -أولا-، بحسب نوع كفره: فإن كان مُقِرًّا بوجود الرب، ويشرك به في العبادة -مثلا-؛ لم يؤمر بالنظر والاستدلال،

بل يخاطَب بتقرير توحيد الألوهية، كما فعل النبي ﷺ مع مشركي العرب.

وإن كان جاحدا لوجود الرب؛ خوطب بالنظر والاستدلال -على الجادة الشرعية السابقة-.

*** مسألة (٢): مذهب أهل البدع في معرفة الله -تعالى-:**

لأهل الكلام طريقة معينة في إثبات وجود الله -سبحانه-، تُسَمَّى **(طريقة الأعراض والأجسام)**.

وحاصلها في خمس خطوات:

١-إثبات وجود الأعراض، وهي: ما لا يقوم بنفسه، كالحركة والسكون.

٢-إثبات حدوث هذه الأعراض؛ لأنها تنشأ من العدم.

٣-إثبات قابلية الأجسام للأعراض، والجسم هو: ما يقوم بنفسه، كالإنسان، فلابد من قيام الأعراض به؛ حتى لا يخلو من الشيء وضده، وهذا محال -عقلا-.

٤-إثبات أن الأجسام حادثة مخلوقة؛ لأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

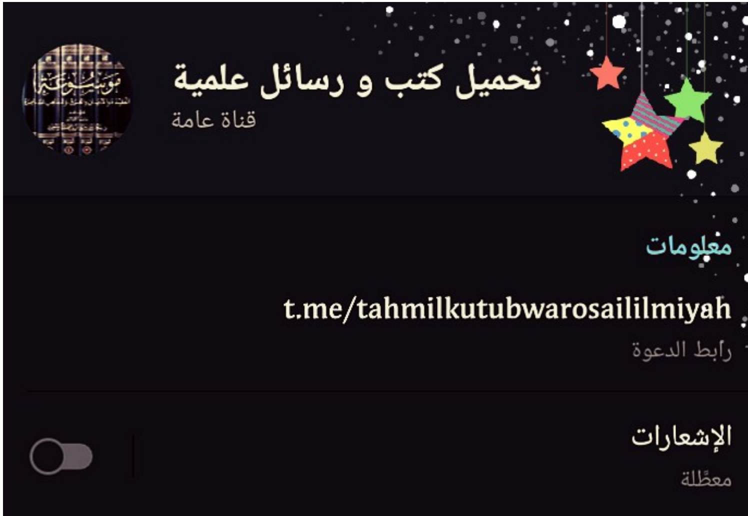
٥-إثبات أن هذه الأجسام والأعراض المخلوقة لا بد لها من خالق.

وهذه الطريقة باطلة من وجهين:

١-ما تشتمل عليه من التطويل الذي لا طائل من ورائه، والذي يُعلم علما ضروريا أن الرسل لم تسلكه مع أحد من الكفار، وإن كان جاحدا لوجود الصانع؛ فإن حدوث المخلوقات أمر حِسِّيٌّ فطري، لا يُستدل عليه بدليل -أصلا-، بل يقال -مباشرة-: هذه المصنوعات لا بد لها من صانع.

٢-أن هذه الطريقة استلزمت -عند أهلها- نَفْيَ الصفات الإلهية؛ لأن الأعراض صفات لا تقوم بنفسها، فجميعها حادث مخلوق، فلو كان الرب متصفا بصفات (أعراض)؛ للزم أن يكون مخلوقا؛ لأن ما يشتمل على المخلوقات: مخلوق.

وقد أُتُوا هاهنا من عدم التفريق بين صفة مخلوقة، وصفة غير مخلوقة؛ فكما أننا نفرق بين ذات مخلوقة، وذات غير مخلوقة؛ فكذلك الصفات.



باب
الأسماء والصفات الإلهية

الفصل الأول
مذهب السلف أهل السنة
في الأسماء والصفات

* مسألة (١): شرح مذهب السلف في الأسماء والصفات الإلهية:

يقول أهل السنة: **نؤمن بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تفويض**.

فالأمر مبناه على التوقيف، لا يجوز تسمية الله باسم، أو وصفه بصفة، إلا إذا ثبت ذلك في القرآن، أو السنة الصحيحة.

وقولنا «نؤمن» أبلغ من قولنا «نثبت»؛ لأن الإيمان يتضمن القول والعمل، وإثبات الأسماء والصفات يتطلب عملا بمقتَضَى ذلك.

والفرق بين الأسماء والصفات: أن الاسم يشتمل على الصفة، كالسميع يشتمل على السمع، والبصير يشتمل على البصر؛ وأيضا: فالاسم هو الذي يُدْعَى الله به، فيقال: يا سميع، يا بصير؛ ولا يقال: يا سمع، يا بصر.

والتعطيل: هو النفي والإنكار، فمذهب السلف: إثبات الأسماء والصفات، لا ينكرون شيئا منها.

والتمثيل: هو المطابقة، فمذهب السلف: إثبات الأسماء والصفات، من غير أن يمثلوها بأسماء وصفات المخلوقين، فيقال: له السمع والبصر، وليس كسمع المخلوق وبصره.

والتعبير بالتمثيل أبلغ من التعبير بالتشبيه:

١- لأنه هو الذي جاء به القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٢-ولأنه لا بد من قدر مشترك في المعنى بين صفة الخالق وصفة المخلوق، فالخالق له سمع وبصر، وكذلك المخلوق، هذا هو القدر المشترك، ثم بعد ذلك يختص كل واحد بما يناسبه من حقائق الصفات.

والتكييف: هو إثبات كيفية معينة للصفات، أو السؤال عن ذلك، بأن يقال: إن سمع الله وبصره شكلهما كذا، أو يقال: كيف يسمع ويبصر؟

فأهل السنة لا يكيِّفون الصفات، لا اعتقادا، ولا سؤالا.

وليس معنى هذا أن الكيف معدوم، بل هو موجود، ونحن الذين نجهل حقيقته.

والتحريف: هو التغيير، والمراد: تفسير الصفات بمعنى يخالف معناها الظاهر المتبادر إلى الذهن لأول وهلة، بأن يقال -مثلا-: إن السمع والبصر ليسا السمع والبصر اللَّذَيْن نعرفهما، وإنما المراد بهما: العلم.

فأهل السنة يثبتون المعاني الظاهرة للأسماء والصفات.

والتعبير بالتحريف أبلغ من التعبير بالتأويل؛ لأن حقيقة التفسير الذي ذكرناه تحريف لمعاني الأسماء والصفات، وإنما سماه أهله «تأويلا» لكي يُقبل ويروج.

والتفويض: هو رَدُّ شيء إلى شيء، والمراد: أننا لا نعلم معاني الصفات، بل نفوِّضها إلى الله -تعالى-، بأن يقال -مثلا-: الله أعلم بمعنى السمع والبصر.

فأهل السنة يثبتون العلم بمعاني الأسماء والصفات، وأنها ليست مجهولة.

وإنما التفويض عند السلف هو **تفويض الكيفية**؛ لأننا لا ندري كُنْهَ وحقيقة الصفات الإلهية، فيقال: السمع هو السمع الذي نعرفه، وأما حقيقته وكيفيته؛ فنردُّهما إلى الله -تعالى-.

وخلاصة مذهب السلف أهل السنة والجماعة في الصفات الإلهية:

الإثبات، مع التنزيه.

وقد اجتمع الأمران في قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فقوله: «ليس كمثله شيء»: تنزيه، وردٌّ على الممثِّلة؛ وقوله: «وهو السميع البصير»: إثبات، وردٌّ على المعطِّلة.

وقد صاغ السلف ذلك بقولهم المشهور: «**أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ، بِلَا كَيْفٍ**»، فهذا إثبات، وإقرار بالمعاني الظاهرة الواردة في النصوص، من غير تكييف.

*** مسألة (٢): مذهب السلف مبني على قاعدتين:**

١- الكلام في الصفات كالكلام في الذات.

فلا بد من إثبات الصفات كما أنه لا بد من إثبات الذات، ولا بد من نفي التمثيل ونحوه عن الصفات كما يُنفَى عن الذات، ومهما ادعى المفرِّق في الصفات التي لا يثبتها، فإنه يلزمه مثله في الذات، فلو قال -مثلا-: «لا أعقل يدا ولا وجها إلا ما يكون للمخلوقين»؛ لزمه مثل ذلك في الذات.

٢- الكلام في بعض الصفات كالكلام في بعض.

فكما نثبت بعض الصفات من غير تمثيل... الخ، فكذلك سائر الصفات، ومهما ادعى المفرِّق في الصفات التي لا يثبتها، فإنه يلزمه مثله فيما يثبته، فلو قال -مثلا-: إن الغضب غليان دم القلب للانتقام؛ قيل له: والإرادة ميل النفس، وهكذا.

*** مسألة (٣): أَزَلِيَّة الصفات، ونفي الخلق عنها:**

والحجة فيه: أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات، ونحن إنما نَصِفُ إلهًا بجميع صفاته، فكما أن الذات أزلية، فكذلك الصفات، وكما أن ذات المخلوق حادثة، فكذلك صفاته؛ لأنها قائمة بذاته.

*** مسألة (٤): تقسيم الصفات إلى ثبوتية، ومنفية:**

الصفات الثبوتية: ما أثبته الله لنفسه، كالحياة، والسمع، والبصر، والكلام، واليد، والوجه.

الصفات المنفية: ما نفاه الله عن نفسه، كالأكل، والنوم، والموت، والنسيان.

*** مسألة (٥): تقسيم الصفات إلى ذاتية، وفعلية (اختيارية):**

الصفات الذاتية: ما لا يتعلق بالمشيئة، فلا يقال: إن شاء الله فعله، وإن شاء لم يفعله؛ كالحياة، والعلم، والعُلُوِّ، والسمع، والبصر، والوجه، واليد.

والصفات الفعلية: ما يتعلق بالمشيئة، فيقال: إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالخَلْق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والكلام، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

*** مسألة (٦): تقسيم الصفات إلى عقلية، ونقلية (سَمْعِيَّة/ خبرية):**

الصفات العقلية: ما يمكن معرفته والاستدلال عليه بالعقل -ابتداءً-، كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والعلو، والسمع، والبصر، والكلام.

والصفات النقلية: ما تتوقف معرفته على النقل، فلا يمكن إثباتها بالعقل -ابتداءً-، كالوجه، واليدين، والاستواء على العرش.

وما من صفة يمكن إدراكها بالعقل إلا وقد جاء بها النقل، وما من صفة نقلية إلا والعقل لا يُحِيلها.

الفصل الثاني

مذاهب أهل البدع

في الأسماء والصفات

*** مسألة (١): التشبيه (التمثيل)، والتجسيم:**

وهو تمثيل الله بخلقه، والقول بأنه جسم كالأجسام، له لحم ودم... الخ.

وهذا المذهب موجود في كتب المقالات منسوبا لبعض الطوائف، وأول من قال بالتجسيم: هشام بن الحكم الرافضي.

وإبطال التمثيل معلوم:

١-**بالعقل**: لأن المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، فلو كان المخلوق مماثلا للخالق؛ للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع، والخالق يجب وجوده وقِدمه، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقِدمه، وهكذا.

٢- **وبالفطرة**: فكل إنسان مفطور على إدراك الفرق بين الخالق والمخلوق، ولو لم يكن بينهما فرق؛ لما ذهب يدعو الخالق.

٣- **وبالنقل**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ **[الإخلاص: ٤]**، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ **[مريم: ٦٥]**.

٤- **وبالإجماع**: فمذهب السلف معلوم في نفي التمثيل، وقد تقدم شرحه.

*** مسألة (٢): التعطيل:**

والمقصود هنا: التعطيل التام، الذي هو تعطيل جميع الأسماء والصفات، وهذا هو مذهب الجهمية.

وإبطال التعطيل معلوم:

١- **بالعقل:** لأن التعطيل صفة العدم.

٢- **وبالفطرة:** لأن العبد مفطور على الإقرار بالصانع والتوجه له، وهذا يستلزم الإقرار بصفاته.

٣- **وبالنقل:** فالنصوص ناطقة بالإثبات، وهذا معلوم بالضرورة.

٤- **وبالإجماع:** فالسلف معلوم عنهم إثباتهم لجنس الصفات، لا يُعلم عنهم التعطيل قط، وعبارتهم المشهورة: «أمروها كما جاءت» أبلغ ما يدل على ذلك.

*** مسألة (٣): مذهب التكييف:**

وهو اعتقاد كيفية معينة للصفات الإلهية، أو السؤال عنها.

وهذا المذهب لا يُعرف عن طائفة بعينها.

وإبطال التكييف معلوم:

١- **بالعقل:** لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تُعلم كيفيته؛ امتنع أن تعلم كيفية الصفة، ولا تُدرك كيفية الشيء إلا بإحدى ثلاث: مشاهدته، أو مشاهدة نظيره، أو خبر الصادق عنه؛ وكل هذا مفقود هنا.

٢- **وبالفطرة:** فالفطرة شاهدة بأن الملك لا يلزمه أن يعرِّف جميع من حوله بجميع ما يعرفه.

٣- **وبالشرع:** لأن الله لم يذكر لنا كيفية صفاته، فدخلت في الغيب ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ونحو ذلك.

٤- **وبالإجماع:** فقول السلف معروف: «بلا كيف»، «الكيف مجهول».

*** مسألة (٤): مذهب التحريف (التأويل):**

وهو صرف الألفاظ الواردة في الأسماء والصفات عن ظاهرها إلى معنى آخر، أو: صرف الحقيقة في الأسماء والصفات إلى المجاز.

وهذا المذهب يشترك فيه المعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم؛ على تفاوت بينهم في هذا التأويل، وسيأتي شرح هذا -إن شاء الله- عند كل صفة -على حدة-.

وبشأن المعتزلة -خاصة-: فإنهم يثبتون الأسماء دون الصفات، فيقولون -مثلا-: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر؛ وهذه الصفات التي ينفونها يتأولونها على خلاف ظاهرها، وهم متفقون على أن الله موجود حي عالم قادر، وهذه الأربعة إنما هي ذاته، ليست شيئا زائدا على الذات.

وبشأن الأشاعرة -خاصة-: فإنهم يثبتون سبع صفات من غير تأويل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام؛ لكنهم يجعلونها أزلية لا تجدُّد فيها، وأما سائر الصفات؛ فيتأوَّلونها، ويصرفونها عن ظاهرها؛ وأصل شبهتهم هو في الصفات الفعلية -خاصة-.

وإبطال التأويل معلوم:

١- **بالعقل**: لأن الصفات الثابتة لله -تعالى- كمال، فتأويلها تعطيل لها يستلزم أنها ليست بكمال، أو وصفَ الله بضدها من النقص، فالسمع والبصر -مثلا- كمال، فتأويلهما بالعلم معناه: سلب السمع والبصر عن الله -تعالى-، وهو سلب للكمال، أو وصف بالنقص.

٢- **وبالفطرة**: لأن العبد مفطور على الإقرار بالمعنى الظاهر الذي يستقر في قلبه، والتأويل مناف لهذا المعنى.

٣- **وبالنقل**: لأن الأصل في النص إجراؤه على ظاهره المعقول المفهوم، ومعلوم عن الرسول ﷺ -بالضرورة- ترك التأويل، ولو كان حقا لوجب عليه بيانه.

٤- **وبالإجماع**: فقول السلف معروف: «أمروها كما جاءت»، «ولا نفسرها».

وأما الأشاعرة؛ فإنهم متناقضون؛ لأن الأمر -كما سلف- أنهم مهما تصوَّروا من الشبهة والتمثيل في الصفات التي ينفونها؛ فإنه وارد عليهم في الصفات التي يثبتونها.

فلو قالوا -مثلا-: الصفات الفعلية تحدث وتزول، والله منزَّهٌ عن ذلك.

قيل لهم: وكذلك الإرادة هي ميل النفس، والسمع والبصر لا يقومان إلا بجسم... الخ.

*** مسألة (٥): مذهب التفويض:**

وهو تفويض معاني الصفات إلى الله -تعالى-.

وهذا المذهب هو الذي ينسبه أهل البدع -وخصوصا الأشاعرة- إلى السلف.

وإبطال التفويض معلوم:

١- **بالعقل**: لأن ما لا يُفهم معناه لا يكون هداية في نفسه، ولا يصح التعبُّد به -خبرا ولا أمرا-.

٢- **وبالفطرة**: لما سبق في شأن التعطيل، والإقرار الفطري بالصفات يستلزم معرفة معانيها، فإن العبد لا يُفْطَر على الإقرار بما يجهل معناه.

٣- **وبالنقل**: لأن نصوص الصفات وردت باللسان العربي، فلا بد من اشتمالها على ما تعقله العرب من المعاني.

٤- **وبالإجماع**: فمذهب السلف معروف في حمل نصوص الصفات على الظاهر المتبادر منها.

وأما قولهم: «ولا نفسرها»؛ فالمراد به نفي التأويل أو التكييف.

الفصل الثالث

الكلام على الصفات التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* الصفة الأولى: صفة الحياة:

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الحق عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢-قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

٣-عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[1].

٤- عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ**»[2].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الحياة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بحياة المخلوقات.

وصفة الحياة صفة ذاتية؛ لأنها لا تتعلق بالمشيئة.

وصفة الحياة صفة عقلية:

١- لأنها صفة كمال، فيجب اتصاف الرب بها.

٢- ولأن ضدها نقص يمتنع اتصاف الرب به.

٣- ولأن جميع الصفات تدل عليها؛ لاستحالة قيامها بغير الحي.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي في «الكبرى».

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: تعطل هذه الصفة، وقد يقع في كلامهم: أن الله حي؛ على معنى نفي الموت عنه، كما يقولون: هو شيء؛ على معنى نفي العدم عنه.

-**المعتزلة**: تُرجع هذه الصفة إلى الذات، لا كقدر زائد عليها.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الحياة:

١-اعتراف المخلوق بالنقص.

٢-الافتقار إلى الله -تعالى-.

٣-التوجه إليه بالعبادة.

❊ الصفة الثانية: صفة العلم:

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

٢-قوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٣٨].

٤-قوله ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥-عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: **«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللهُ»**(١).

---

(١) رواه الشيخان.

٦-عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في حديث الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ... وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**» الحديث(١).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة العلم، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بعلم المخلوقات.

والعلم من الصفات الذاتية، مع إثبات تجدُّده عند وقوع الأشياء، فالله عز وجل علم كل شيء أزلًا، ويعلمه بعلم واقع عند حدوثه.

والعلم من الصفات العقلية:

١- لأن الله حي، فلا بد من اتصافه به، أو بضده.

٢- لأنه صفة كمال، فيجب اتصاف الرب به.

٣- لأن ضده نقص، يمتنع اتصاف الرب به.

وللكلام على العلم تتمة تأتي في باب القدر -إن شاء الله-.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية، والمعتزلة**: ينكرون العلم، والمعتزلة ترده إلى الذات.

-**الأشاعرة**: يثبتونه، ويجعلونه أزليًا بلا تجدُّد؛ تبعًا لشبهتهم في نفى الصفات الفعلية أو المتجددة عن الله عز وجل.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة العلم:

١-التواضع لله -تعالى-.

٢-رَدُّ العلم إليه، وخصوصا فيما لا يعلمه العبد.

---

(١) رواه البخاري.

٣-تقديم حكمه على حكم المخلوق.

٤-مراقبته، وتقواه.

*** الصفة الثالثة: صفة القوة:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

٢-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

٤- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، يَقُولُ فِي السَّجْدَةِ مِرَارًا: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»[١].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة القوة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بقوة المخلوقات.

والقوة من الصفات الذاتية، مع إثبات تجدُّدها عند وقوع الأشياء، فالله ﷻ اتصف بالقوة أزلًا، وهو يفعل الأفعال بقوة عند وجودها، كما في تعذيبه للكفار -مثلا-.

والقوة من الصفات العقلية؛ للأوجه السابقة في صفة العلم.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية، والمعتزلة**: ينكرون القوة، والمعتزلة تردها إلى الذات.

-**الأشاعرة**: تردُّها إلى القدرة.

(١) رواه أهل السنن، إلا ابن ماجه.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة القوة:

١-التواضع لله -تعالى-.

٢-القوة على أوامر الله عز وجل.

*** الصفة الرابعة، والخامسة: صفة السمع، والبصر:**

أولا: أدلة ثبوتهما:

١-قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢-قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

٣-قوله عز وجل: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

٤- قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

٥-قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

٦- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**»[1].

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**»[2]، أي: استمع.

٨-عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في حديث جبريل في الإسلام، والإيمان، والإحسان: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[3].

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة السمع والبصر، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بسمع وبصر المخلوقات.

وهما من الصفات الذاتية، مع إثبات تجدُّدهما عند وقوع الأشياء، أي: سماع الأشياء ورؤيتها عند وجودها -كما دلت عليه النصوص-.

ويقع فيهما التعلق بالمشيئة والقدرة بمعنى معين:

١ -أن يكون السمع بمعنى الإجابة، كقول: «سمع الله لمن حمده».

٢ -أن يكون البصر بمعنى الإكرام، كقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

والسمع والبصر من الصفات العقلية؛ للأوجه السابقة في صفة العلم.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية، والمعتزلة**: ينكرون السمع والبصر، والمعتزلة تردهما إلى العلم، الذي هو الذات.

ومن شبهاتهم الفرعية:

أن الأعمى قد يقال له: «ما أبصره»، على معنى العلم والبصيرة.

والجواب: أن هذا لا يقال إلا في ذوي الأعين والأبصار -وإن فقدوها-، وقد فرق الله بين السمع والعلم، وبين السمع والبصر، فدل على تغايرهم، وأن السمع والبصر الثابتَيْن له قدر زائد على مجرد العلم.

-**الأشاعرة**: يثبتونهما، ويجعلونهما قديمَيْن، لا تجدد فيهما.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة السمع، والبصر:

تقوى الله ﷻ، ومراقبته.

* الصفة السادسة: صفة المشيئة والإرادة:

أولا: أدلة ثبوتها:

١ –قول الله ﷻ: ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

٢ –قوله ﷻ: ﴿**يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ١٢٩].

٣ –قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ [الحج: ١٨].

٤ –قوله ﷻ: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ [البروج: ١٦].

٥ –قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

٦ – قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ [المائدة: ١].

٧ – عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»(١).

٨ –عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٢).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله –تعالى– صفة المشيئة والإرادة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بمشيئة وإرادة المخلوقات.

والمشيئة والإرادة من الصفات الذاتية، مع إثبات تجدُّدها عند وقوع الأشياء، فالله ﷻ اتصف بها أزلًا، وهو يفعل الأفعال بمشيئة وإرادة عند وجودها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

والمشيئة والإرادة من الصفات العقلية؛ للأوجه السابقة في صفة العلم.

وتتمة الكلام عليها في باب القدر -إن شاء الله-.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية، والمعتزلة**: ينكرون الإرادة والمشيئة، والمعتزلة تردها إلى القدرة، التي هي الذات.

-**الأشاعرة**: يثبتونها، ويجعلونها أزلية -فقط-.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الإرادة والمشيئة:

١-التواضع لله -تعالى-.

٢-تفويض الأمر إليه.

*** الصفة السابعة: صفة المحبة:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

٢-قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٤-قوله ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٥- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي**

---

(١) متفق عليه.

أَهْلِ الأَرْضِ»[١].

٧-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ، عن الرب عز وجل: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**» الحديث[٢].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة المحبة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بمحبة المخلوقات.

والله عز وجل يُحِبُّ، ويُحَبُّ؛ كما نطقت به النصوص.

والمحبة من الصفات الفعلية.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون المحبة.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونها على إرادة الثواب، ثم على حسب مذاهبهم في الإرادة.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة المحبة:

التعرض لأسباب محبة الرب -تبارك، وتعالى-.

*** الصفة الثامنة: صفة الرضا:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ **[المائدة: ١١٩]**.

٢-قوله عز وجل: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ **[المائدة: ٣]**.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

٣-قوله ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١].

٤-قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في كلام الله ﷻ لأهل الجنة: « **أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** »[١].

٦- عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: « **اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ** »[٢].

٧-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ، « **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا** » الحديث[٣].

٨-عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[٤].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الرضا، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل برضا المخلوقات.

والرضا من الصفات الفعلية.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون الرضا.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونه على إرادة الثواب.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الرضا:

التعرض لأسباب رضا الرب -تبارك، وتعالى-.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

*** الصفة التاسعة: صفة الرحمة:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

٢-قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

٣-قوله عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

٤-قوله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٥-قوله عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ**»(١).

٧- عنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»(٢).

٨-عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم، «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٣).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الرحمة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل برحمة المخلوقات.

والرحمة من الصفات الفعلية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون الرحمة.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونها على إرادة الثواب.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الرحمة:

التعرض لأسباب رحمة الرب -تبارك، وتعالى-.

*** الصفة العاشرة: صفة الغضب، ونحوها:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷿: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

٢- قوله ﷿: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١].

٣-قوله ﷿: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٨٠].

٤- قوله ﷿: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

٥- قوله ﷿: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [غافر: ١٠].

٦- قوله ﷿: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥].

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ**

فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[١].

٨- عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، عن النبي ﷺ: « **اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ** »[٢].

٩-عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن الرسول ﷺ، « **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا** » الحديث[٣].

١٠-عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن نبي الله ﷺ: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا؛ دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ**: «**إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا، فَأَبْغِضْهُ**»، **قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ**: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا، فَأَبْغِضُوهُ**»، **قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**»[٤].

١١-عن عياض بن حمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**»[٥].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الغضب ونحوها، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بصفات المخلوقات.

وهذه الصفات من الصفات الفعلية.

ومعانيها معروفة:

فالغضب -في أصله- هو الشدة، وليس غليان الدم -كما زعم أهل البدع-؛ فإن الغليان المذكور ناشئ عنه في حق المخلوق، وليس هو نفس الغضب، كما أن الحمرة ناشئة عن الحياء، وليست نفس الحياء.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

والسخط ضد الرضا.

والكراهية ضد المحبة.

والمقت شدة البغض.

والأسف يأتي بمعنى الغضب، وبمعنى الحزن، والمراد في حق الله الأول، بخلاف: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فالمراد الثاني.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون هذه الصفات.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونها على إرادة العقاب.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بهذه الصفات:

الابتعاد عن أسبابها.

*** الصفة الحادية عشرة: صفة الوجه:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٢-قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

٣-قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

٤- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(١).

٥- عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ -، لَوْ كَشَفَهُ**

(١) متفق عليه.

لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[١].

٦-عن الحارث الأشعري رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ، **«وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ، فإذا نَصَبْتُمْ وُجُوهَكُمْ؛ فَلا تَلْتَفِتُوا؛ فإن اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ -إذا قام يُصَلِّي-، فَلا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عنه حتى يَكُونَ الْعَبْدُ هو يَصْرِفُ »**[٢].

٧-عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»**[٣].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الوجه، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بوجوه المخلوقات.

والوجه من الصفات الذاتية الخبرية.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون الوجه.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونه على الثواب، أو النعمة، أو الذات.

ومتقدِّمو الأشاعرة كانوا يثبتون صفة الوجه.

ومن شبهات النُّفَاةِ الفرعية:

أن الوجه يُطلق، ويراد به غير الوجه الحقيقي، ويُطلق على غير ذوي الوجوه، تقول: هذا وجه الثوب، ووجه البيت، ووجه الأمر.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، والنسائي.

(٣) رواه أبو داود.

والجواب:

١-أن هذه الأشياء وإن كان لها وجوه؛ لكن لا يقال -مثلا-: «أقبلوا بوجوههم».

٢-النعمة -أو الثواب- لا يوصف بأنه «ذو الجلال والإكرام»، ولا يستعاذ به، ولا تحرق سبحاته الخلق.

٣- لو كان المراد الذات في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ لكانت: «ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام»، والوجه لا بد أن يكون قدرا زائدا على الذات، والذات لا توصف بأن لها سبحات، وقد غاير النبي ﷺ في دعاء دخول المسجد بين الاستعاذة بالذات والاستعاذة بالوجه، وإطلاق الوجه وإرادة الذات من باب إطلاق البعض وإرادة الكل، ولا يكون هذا إلا والبعض ثابت -على الحقيقة-.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الوجه:

١-محبة الله -تعالى-.

٢-الرغبة في ثوابه بالعمل الصالح.

*** الصفة الثانية عشرة: صفة اليدين:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

٢-قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣-قوله عز وجل: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

٤-قوله ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»(١).

٦- عنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٢).

٧-عنه رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ، «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»(٣).

٨-عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(٤).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة اليدين، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بأيدي المخلوقات.

واليدان من الصفات الذاتية الخبرية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون اليدين.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونهما على النعمة، أو القدرة، أو نحو ذلك.

ومتقدِّمُو الأشاعرة كانوا يثبتون صفة اليدين.

ومن شبهات النُّفَاةِ الفرعية:

أن «اليد» تُطلق في لغة العرب، ويراد بها النعمة، كقولهم: «فلان له يدٌ عليَّ».

والجواب:

١-أن هذا الاستعمال لا يكون إلا فيمن له يد -على الحقيقة-، أو من ذوي الأيدي -ولو كان مقطوعها-.

٢- النصوص تأبى هذا التأويل، كقوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، فليس لله نعمتان أو قدرتان.

٣- لو كان المراد بقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾: القدرة؛ لم يكن لآدم خصوصية على من سواه؛ إذ جميع المخلوقات مخلوقة بقدرة الله.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة اليدين:

١-تعظيم الله -تعالى-.

٢-الخوف منه.

٣-الرغبة في ثوابه.

*** الصفة الثالثة عشرة: صفة العينين:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

٢-قوله ﷻ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

٣-قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»[1].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة العينين، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بأعين المخلوقات.

والعينان من الصفات الذاتية الخبرية.

وهما عينان اثنتان، والعمدة في ذلك على الحديث؛ لأنه لو كان لله عين واحدة، أو أكثر من عينين؛ لكان هذا أوضح في ذكر الفرق بينه وبين الدجال، ولو كان لله أكثر من عينين؛ فهذا إما أن يكون نقصا أو كمالا، فالنقص محال، والكمال لا بد من اعتقاده، وعدم تفويت التنبيه عليه.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية**: ينكرون العينين.

-**المعتزلة، والأشاعرة**: يتأولونهما على مجرد الرؤية، أو الحفظ، أو نحو ذلك.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة العينين:

تقوى الله ﷻ، ومراقبته.

*** الصفة الرابعة عشرة: الصفات التي تُطلق في مقام المقابلة (المكر، والكيد، والمخادعة، والاستهزاء، والسخرية):**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

---

(١) متفق عليه.

٢-قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

٤-قولــه ﷻ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

٥- قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

٦-قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- هذه الصفات، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بصفات المخلوقات.

وهذه الصفات من الصفات الفعلية.

وحاصل معانيها: الإظهار للشخص ما يوافقه ويرضيه ظاهرا، مع إخفاء ما يضره باطنا. والمِحال: تعريض الشخص لما يهلكه.

وهذه الصفات لا تُطلق إلا في مقام المقابلة، وهي حينئذ كمال؛ ولهذا كانت من الله ﷻ خيرا؛ لأنها عدل ومجازاة.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

تأويل هذه الصفات بالإرادة، على حسب مذاهبهم في الإرادة.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بهذه الصفات:

١-الخوف من الله.

٢-مراقبته.

٣-عدم التحيُّل على محارمه.

* الصفة الخامسة عشرة: القدرة:

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

٢-قوله ﷻ: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨].

٤-قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

فائدة: لم تأت صفة القدرة بلفظها في القرآن، بل بمعناها، كالآية السابقة.

٥-عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» الحديث[1].

٦-عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في حديث الاستخارة: «**وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ... فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ**»[2].

٧-عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[3].

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة القدرة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بقدرة المخلوقات.

والقدرة من الصفات الذاتية، مع إثبات تجددها عند وقوع المقدورات.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

وهي من الصفات العقلية؛ للأوجه السابقة في صفة العلم.

فائدة: «القدير» أبلغ من «القادر»؛ لأنه صيغة مبالغة، و«المقتدر» أبلغ منهما؛ لأنه هو الذي يُظهر قدرته بالفعل.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

-**الجهمية، والمعتزلة:** ينكرون القدرة، والمعتزلة تردها إلى الذات.

-**الأشاعرة:** يثبتونها، ويجعلونها قديمة فقط، بدون تجدد.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة القدرة:

١-التواضع لله عز وجل.

٢-الخوف منه عز وجل.

*** الصفة السادسة عشرة: العزة:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٢-قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

٣-قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥].

٤-قوله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

٥-عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ: «تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟»، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: «قَطْ! قَطْ! وَعِزَّتِكَ»، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»(١).

٦-عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ -لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ- أَنْ تُضِلَّنِي**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة العزة، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بعزة المخلوقات.

والعزة من الصفات الذاتية.

وهي من الصفات العقلية؛ للأوجه السابقة في صفة العلم.

والعزة لها معان:

١-الغلبة.

٢-الشرف.

٣-القوة.

٤-انقطاع النظير.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

كما تقدم في صفة القوة -سواءً-.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة العزة:

١-التواضع لله -تعالى-.

٢- تعظيمه -تعالى-.

٣-تنزيهه عز وجل عن كل نقص.

٤-الفخر بالانتساب إلى الدين.

*** الصفة السابعة عشرة: الفرح:**

أولا: دليل ثبوتها:

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ**

أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(١).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الفرح، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بفرح المخلوقات.

والفرح من الصفات الفعلية الخبرية.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

تأويل الفرح بالرضا، والرضا عندهم إرادة الثواب، ثم يتشعب الأمر على حسب مذاهبهم في الإرادة.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الفرح:

التعرض لأسباب فرح الله عز وجل.

*** الصفة الثامنة عشرة: الضحك:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

٢-عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ، في ذكر آخر أهل الجنة دخولا: «**فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ**»(١).

٣-عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، في حديث الورود: «**فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**»(٢).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة الضحك، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بضحك المخلوقات.

والضحك من الصفات الفعلية الخبرية.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

كما تقدم في صفة الفرح.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة الضحك:

١-التعرض لأسباب ضحك الرب.

٢-رجاء ما عنده من الخير.

*** الصفة التاسعة عشرة: التعجب:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، بضم التاء -على قراءة حمزة، والكسائي-.

٢-عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن الرسول ﷺ: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ**»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

٣-عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»(١).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة التعجب، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بتعجب المخلوقات.

والتعجب من الصفات الفعلية الخبرية.

والعَجَب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين:

السبب الأول: خَفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجَّب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع؛ وهذا مستحيل على الله -تعالى-؛ لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره، وعمَّا ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجِّب؛ بحيث يعمل عملًا مستغربًا لا ينبغي أن يقع من مثله؛ وهذا ثابت لله -تعالى-؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجِّب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه.

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

إنكار التعجب.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة التعجب:

الاجتهاد في الأمور الخارجة عن نظائرها إن كانت ترضي الرب، وتركها إن كانت تسخطه.

(١) رواه أحمد.

*** الصفة العشرون: القَدَم:**

أولا: أدلة ثبوتها:

١-قول الله ﷻ: ﴿**يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ**﴾ [القلم: ٤٢]، بناء على الحديث الآتي الذي فسَّرها.

٢-عن أنس رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟»، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ** [وفي رواية: **حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ**]، **فَتَقُولُ: «قَطْ! قَطْ! وَعِزَّتِكَ»، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»(١).

٣- عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِى الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**»(٢).

٤-عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ**»(٣).

ثانيا: مذهب أهل السنة:

يثبتون لله -تعالى- صفة القدم، على الوجه اللائق به، وعلى الكمال الوارد في النصوص، من غير تمثيل بأقدام المخلوقات.

والقدم من الصفات الذاتية الخبرية.

و«في» في الحديث: «يضع فيها قدمه»: بمعنى «على».

ثالثا: مذاهب أهل البدع:

تأويل القدم بما تقدَّم عند الله أنهم أهل الشقاوة، وتأويل الساق بالشدة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٣) رواه الحاكم، وهو موقوف له حكم الرفع.

رابعا: الفائدة المسلكية من الإيمان بصفة القدم:

بيان عظمة الله وفضله العظيم في وضع قدمه على النار حتى تمتلئ، وأنه لا ينشئ لها خلقا.

الفصل الرابع

صفة العلو وما يتعلق بها[١]

*** المبحث الأول: صفة العلو:**

*** مسألة (١): أدلة ثبوتها:**

١-قول الله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

٢-قوله ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

٣- قوله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

٤- قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

٥-قوله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

٦-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[٢].

٧- عنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»[٣].

٨-عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟**»[٤].

---

(١) أفردتُها بفصل؛ لأهميتها.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

٩-عن معاوية بن الحكم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، في قصة الجارية: «**فَقَالَ لَهَا** [أي: النبي ﷺ]: «**أَيْنَ اللهُ؟**» **قَالَتْ**: «**فِي السَّمَاءِ**»، **قَالَ**: «**مَنْ أَنَا؟**»، **قَالَتْ**: «**أَنْتَ رَسُولُ اللهِ**»، **قَالَ**: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[1].

١٠-عن أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن الرسول ﷺ: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ**»[2].

١١-الأحاديث المتواترة في رفع اليدين إلى السماء عند الدعاء.

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ أنه عالٍ على خلقه، وفوقهم، مباين لهم.

وقول الشارع: «في السماء» تفسيره على أحد وجهين:

١-إما أن تكون «في» بمعنى «على»، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

٢-وإما أن يراد بالسماء العلو.

والعلو صفة عقلية؛ لأن ما ثبت وجوده قائما بذاته؛ فلا بد أن يكون في جهةٍ ما من العالم، والكمال من ذلك: أن يكون فوقه.

والعلو صفة فطرية؛ لأن العبد مفطور على رفع يديه إلى السماء عند الدعاء، وهذا إقرار لله عَزَّوَجَلَّ بالعلو.

والعلو صفة ذاتية.

والعلو على ثلاثة أقسام:

١-علو الذات. ٢-علو الشأن. ٣-علو القهر.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

❊ مسألة (٣): مذاهب أهل البدع:

أولا: مذهب الجهمية، وأصحاب وحدة الوجود (الوُجُودية):

يقولون: إن الله -بذاته- في كل مكان، لا يخلو منه مكان.

هذا أصل قول الجهمية قديما، ثم التزمه أصحاب وحدة الوجود، وصرحوا بأن الله هو الوجود كله، وهو جميع الموجودات.

وشبهتهم:

١-القول بأن الله في جهة معينة يلزم منه أن يكون محدودا بحد، أو يكون في مكان.

٢-اتباع بعض المتشابه، كقول الله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

والجواب:

١-لو كان الله -تعالى- في كل مكان؛ لكان مُحَاطًا به في كل مكان، ولكان في المستقذرات، والأنجاس، وأجواف المخلوقات؛ إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة.

٢-إثبات الحد لله ﷻ هو بمعنى المباينة: أنه بائن منفصل عن خلقه، وقد صرح بلفظ «الحد» جمهور الأئمة.

٣-إثبات المكان لله ﷻ إنما هو باعتبار كونه فوق المخلوقات، لا أنه في مكان مخلوق يحيط به.

٤-«الإله» في الآية بمعنى المعبود، أي: هو معبود في السماء، ومعبود في الأرض.

ثانيا: مذهب المعتزلة، والأشاعرة:

يقولـون: إن الله لـيس في جهـة، فلـيس فـوق العـالم، ولا تحتـه، ولا أمامـه، ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن شماله.

وشـبهتهم: نفس شـبهة الجهمية السـابقة، ففـرُّوا عنهـا بنفـي الجهـة عـن الله -مطلقا-.

والجواب: أن ما ذكـروه هـو صـفة العـدم؛ إذ لا يُعقـل موجـود لـيس في جهـة معينة من العالم.

❊ المبحث الثاني: صفة الاستواء على العرش:

❊ مسألة (١): أدلة ثبوتها:

١-قول الله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، في ستة مواضع في القرآن: في «الأعراف»، و«يونس»، و«الرعد»، و«الفرقان»، و«السجدة»، و«الحديد».

٢-قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

❊ مسألة (٢): مذهب أهل السنة:

يثبتون لله صفة الاستواء على العرش، استواء حقيقيا، على الوجه اللائق بالله ﷻ، من غير تمثيل باستواء الخلق على عروشهم.

والاستواء صفة خبرية فعلية.

والسلف والعلماء فسَّروا الاستواء على أربعة معان:

١-العلو. ٢-الارتفاع. ٣-الصعود. ٤-الاستقرار.

❊ مسألة (٣): مذهب أهل البدع:

ينكرون الاستواء، ويؤوِّلونه بالاستيلاء والغلبة.

ومن شبهاتهم الفرعية: أن الاستواء يأتي في اللغة بمعنى الاستيلاء، كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العراق من غير سيف أو دم مِهْرَاق

والجواب:

١-لا يُعرف في اللغة تفسير الاستواء بالاستيلاء، والبيت المذكور لا يُعرف قائله.

٢-الاستيلاء يلزم منه وجود مغالبة ومنازعة بين الله ﷻ وبين شيء آخر، وهذا ممتنع.

٣-الله ﷻ مُسْتَوْلٍ على جميع المخلوقات، فما وجه تخصيص العرش بالذكر؟!

*** المبحث الثالث: صفة المعية:**

*** مسألة (١): أدلة ثبوتها:**

١-قول الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤].

٢-قوله ﷻ: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ**﴾ [طه: ٤٦].

٣-قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

٤-قوله ﷻ: ﴿**وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٥- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**»[1].

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

* **مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

يثبتون صفة المعية.

ويقولون: المعية على قسمين:

١- معية عامة (بالعلم، والسمع، والبصر): وهي التي تجيء في النصوص متعلقة بعموم الخلق، وهذه صفة ذاتية.

٢- معية خاصة (بالتوفيق، والهداية، والنصرة): وهي التي تجيء متعلقة بالمؤمنين، وهذه صفة فعلية.

* **مسألة (٣): مذهب أهل البدع (الحلولية، والاتحادية):**

حمل نصوص المعية العامة على معنى الحلول، والمخالطة.

والجواب:

هذه المعية لا تتنافى مع العلو، ولا تستلزم الحلول، ولا المخالطة.

والعمدة في تفسير هذه المعية على:

١- دلالة السياق نفسه في البدء بالعلم، والختم بالرؤية: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٢- دلالة النصوص الصريحة في إثبات الفوقية، والمباينة.

٣- فهم السلف: فإنهم مطبقون على تفسير المعية العامة بالعلم، ونحوه.

* **المبحث الرابع: صفة القرب:**

* **مسألة (١): أدلة ثبوتها:**

١- قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٢-قوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

٣-قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

٤- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**»[1]، وفي رواية: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»[2].

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

القرب على قسمين:

١- قرب بالذات: وهو الفعل الاختياري الصادر عن الرب، كالنزول، والإتيان.

٢- قرب بالصفات: وهو كالمعية: عام وخاص، فالعام بالعلم ونحوه، والخاص بالإجابة ونحوها.

ورجَّح المؤلف شيخ الإسلام رحمه الله أن القرب خاص -فقط- بالإجابة ونحوها، وليس كالمعية، فليس هناك قرب عام من جميع المخلوقات.

والأول أظهر.

*** مسألة (٣): مذاهب أهل البدع:**

أولا: مذهب الجهمية، والحلولية:

حمل القرب على معنى الحلول.

ثانيا: مذهب الأشاعرة:

إنكار قرب الذات -بناء على إنكار الأفعال الاختيارية-، وتأويل هذا القرب بقرب الرحمة، ونحوها.

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم.

* المبحث الخامس: صفة النزول:

*** مسألة (١): دليل ثبوتها:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ، وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(١).

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

إثبات صفة النزول لله عَزَّ وَجَلَّ، نزولا حقيقيا يليق به، من غير تمثيل بنزول المخلوقات.

والنزول صفة خبرية فعلية.

*** مسألة (٣): مذهب أهل البدع:**

تأويل النزول بنزول الرحمة، أو الأمر، أو مَلَك من الملائكة؛ كما يقال: «نادى السلطان»، أي: أمر مناديًا ينادي عنه.

والجواب:

١-الرحمة، والأمر، والملائكة: تتنزل في كل وقت.

٢-لو أريد شيء من ذلك؛ لصُرِّح به في الحديث.

٣-الرحمة إنما تتنزل إلى الأرض؛ لينتفع بها العباد، لا تتنزل -فقط- إلى السماء الدنيا، ولا تصعد بعد نزولها.

٤-إن المنادي عن غيره -كمنادي السلطان- يقول: أمر السلطان بكذا، لا يقول: إني آمركم بكذا، وأنهاكم عن كذا.

---

(١) متفق عليه.

* المبحث السادس: صفة المجيء والإتيان يوم القيامة:

*** مسألة (١): أدلة ثبوتها:**

١-قول الرب ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

٢-قوله ﷻ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٣-قوله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

٤-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في حديث الشفاعة: «**فَيَأْتِيهِمُ اللهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ**»[١].

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

إثبات المجيء والإتيان لله ﷻ، على الحقيقة، وعلى الوجه اللائق به، من غير تمثيل بصفات المخلوقات.

وهما من الصفات الخبرية الفعلية.

*** مسألة (٣): مذهب أهل البدع:**

تأويل المجيء والإتيان بمجيء وإتيان الأمر.

والجواب:

أن النصوص تأبى هذا التأويل، فقد وقع فيها المغايرة بين إتيان الرب وإتيان آياته، وقد ذكر الله مجيء الملك مع مجيئه، ومجيء الملك حقيقي، فكذلك مجيء الرب، والأمر لا يقول: «أنا ربكم».

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

الفصل الخامس

صفة الكلام والقول في القرآن[١]

* المبحث الأول: صفة الكلام:

* مسألة (١): أدلة ثبوتها:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

٢- قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

٣-قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٤-قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

٥-قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

٦-عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ»[٢].

٧-عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٣].

٨-عن جابر رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ،

---

(١) أفردتُها بفصل؛ لأهميتها.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١).

٩-عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(٢).

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

يثبتون صفة الكلام، على الحقيقة، وعلى الوجه اللائق بالرب عز وجل، من غير تمثيل بكلام المخلوقات.

والكلام صفة ذاتية فعلية، فالله لم يزل متكلما، وهو يتكلم وقتما شاء، بما شاء.

والكلام صفة عقلية؛ للوجوه السابقة في صفة العلم، وقد أكَّد القرآن هذه الحقيقة عندما بيَّن أن الذي لا يتكلم لا يصح أن يكون إلهًا: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [**الأعراف: ١٤٨**].

وكلام الله عز وجل بحرف، وصوت:

١-لأن الكلام لا يكون إلا بهما.

٢-ولاتصاف الرب بالنداء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [**الشعراء: ١٠**]، والنداء لا يكون إلا بصوت.

٣-ولأَمْرِهِ بالاستماع إلى كلامه: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [**طه: ١٣**]، والاستماع لا يكون إلا لصوت.

٤-ولأن القرآن كلام الله -كما يأتي-، والقرآن مكوَّن من حروف.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه مسلم.

وكلام الله ليس بمخلوق:

١-لأن هذه هي القاعدة العامة في الصفات -كما تقدم-.

٢-وللمغايرة في النص بين الخلق والأمر: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والأمر من الكلام.

٣-ولثبوت الاستعاذة بالكلام -كما تقدم في حديث خولة بنت حكيم-، والاستعاذة لا تكون بمخلوق.

*** المبحث الثاني: القول في القرآن:**

مذهب أهل السنة: **القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.**

القرآن كلام الله: لما تقدم من قوله ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾؛ فإن كلام الله هنا هو القرآن؛ وقوله ﷺ: «**فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»؛ فإن كلام الله هنا هو القرآن -أيضا-.

غير مخلوق:

١-لأن القرآن من الكلام، والكلام غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

٢-ولأنه من علم الله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، والعلم غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

٣-ولأنه من أمر الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، والأمر غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق.

منه بدأ: أي هو المتكلم به: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢].

وإليه يعود: يُرفع في آخر الزمان من المصاحف والصدور: عن حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»(١).

(١) رواه ابن ماجه.

*** المبحث الثالث: مذاهب أهل البدع في الكلام، والقرآن:**

أولا: مذهب الجهمية، والمعتزلة:

يعطِّلون صفة الكلام، ويقولون: إن الكلام الذي نسبه الله إلى نفسه إنما هو مخلوق، نُسب إليه على جهة التشريف، نحو: عبد الله، وبيت الله؛ ومن ثَمَّ يقولون: القرآن مخلوق.

وشبهتهم العامة هي شبهتهم العامة في الصفات.

ومن شبهاتهم الفرعية:

١-قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، والقرآن شيء.

والجواب:

أ-القرآن يسمى شيئا بمعنى نفي العدم، وليس المراد أنه من الأشياء المخلوقة، وهكذا يُطْلَق على الرب نفسه أنه شيء: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ أفيكون داخلا في قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾؟!

ب-عموم «كل» يُعرف في كل موضع بحسبه، كما في قوله ﷻ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فإنها ليست على عمومها، بدليل: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فالمراد -إذن-: أنها تدمر كل شيء يستحق التدمير؛ وقولِه: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣]، فإنها لم تؤت ما كان عند سليمان ﷺ؛ فكذلك قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ المراد به: كل شيء يقبل الخلق، وصفاته ليست كذلك؛ لأنها ملازمة لذاته.

٢-قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]؛ أي: خلقناه.

والجواب:

«جعل» إنما يكون بمعنى «خلق» إذا تعدَّى لمفعول واحد، كقوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ [الأنعام: ١]؛ وأما إذا تعدى لمفعولين؛ فهو بمعنى «صيَّر»، كقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ ﴾ [الزخرف: ١٩]، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ فلا يمكن أن يكون «جعل» في هذه المواضع بمعنى «خلق»، وإنما هو بمعنى «صيَّر»، والتصيير لا يستلزم الخلق -كما هو ظاهر-، وإنما هو التحويل من حال إلى حال، لا خلق الشيء المصيَّر، والمراد بشأن القرآن: صيَّرناه بلسان العرب؛ لأن الله يرسل كل رسول بلسان قومه.

٣-قوله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]، «محدث» أي: مخلوق.

والجواب:

الحدوث هنا بمعنى التجدد، كقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، فلا يمكن أن يكون الإحداث هنا بمعنى الخلق.

ثانيا: مذهب الكُلَّابية، والأشاعرة، والماتُريدية:

يثبتون لله كلاما؛ لكن يجعلونه مجرد المعنى القائم بالذات الإلهية، فهو أزلي غير قابل للتجدد، وهو كله معنى واحد، وليس بحرف ولا صوت، وهذه الحروف والأصوات مخلوقة، وهي حكاية عن كلام الله القائم بذاته.

وعليه؛ فالقرآن كلام الله بمعنى الكلام القائم بذاته، وأما الحروف والأصوات التي عبَّرت عنه؛ فهي مخلوقة، نُسبت إلى الله على جهة التشريف.

(١) متفق عليه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأصل شبهتهم: شبهتهم العامة في الصفات، القائمة على نفي الأفعال الاختيارية عن الله ﷻ.

ومن شبهاتهم الفرعية:

١-قول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]، فسمَّى ما في النفس كلاما.

والجواب:

أ-الكلام إن أُريد به ما في النفس من المعاني؛ فلا بد أن يُعبَّر عنه في اللغة بالتقييد: «قال في نفسه»؛ وأما الكلام المطلق من غير تقييد؛ فلا يكون إلا بلفظ وحرف وصوت، والكلام الذي وُصف به الله هو كلام مطلق، لا مقيد، والمتكلم -في اللغة- هو الذي قام به الكلام، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته، فلابد من إثبات الأمرين.

ب-قد فرَّق النص الشرعي بين الكلام وحديث النفس، كما في قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**»(١).

جـ-الكلام القائم بالنفس لا بد أن يكون مختلف المعاني، فالضرورة حاصلة بالفرق بين معنى الأمر ومعنى الخبر، وأن معنى آية الكرسي -مثلًا- يختلف عن معنى آية الدَّيْن.

د-القول بأن المسموع إنما هو حكاية -أو عبارة- عن كلام الله يقتضي أنه ليس عين كلام الله، وإنما هو دالٌّ عليه، وقد صرَّحوا بأنه مخلوق، فعادوا إلى قول الجهمية والمعتزلة؛ لأن الكلام الذي أثبتوه ليس هو الكلام الحقيقي -لغة، ولا عقلا، ولا شرعا-.

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢-قول الأَخْطَل: «إن الكلام لفي الفؤاد»، فدل على أن ما في النفس يُسمَّى كلاما -في اللغة-.

والجواب:

أ- قيل: هذا البيت ليس في ديوانه، فهو موضوع عليه.

ب- قد روي بلفظ: إن البيان.

جـ- الأخطل نصراني، وضلال النصارى في صفة الكلام معروف.

د- لازمه أن الأخرس يسمى متكلما.

هـ- الشِّعر قد جاء هكذا:

لا يُعجبنَّك من أثير لفظُه حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

فتبين أن المراد: أصل الكلام في الفؤاد، نهاه أن يُعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل.

ثالثا: مذهب السالمية:

أثبتوا أن كلام الله بحرف وصوت؛ ولكنهم جعلوا أعيانها قديمة، لا تقع بالمشيئة، وقالوا: هي مقترنة ببعضها اقترانا أزليًّا، لا زمنيًّا، فالباء -مثلًا- لم تسبق السين، والسين لم تسبق الميم.

والجواب:

هذا معلوم الفساد -بالاضطرار-؛ فإن الحروف متعاقبة، فيسبق بعضها بعضا، والمسبوق بغيره لا يكون قديما لم يزل، والصوت المعين لا يبقى زمانين، فكيف يكون قديما أزليا؟!

وهؤلاء لم يفرقوا بين أنواع الحروف والأصوات، وبين أعيانها، فالأزلي إنما هو نوع الحروف والأصوات، لا أعيانها.

رابعا: مذهب الكَرَّامية:

يقولون: إن الله أحدث كلاما في ذاته، ويمتنع أن يكون لم يزل متكلما، فيثبتون جانب الفعل دون الأزلية، وهو -عندهم- لم يزل متكلما بمعنى: لم يزل قادرا على الكلام، ويمتنع أن يكون لم يزل متصفا بالكلام.

والجواب:

الفرق بين مذهب الكرامية، ومذهب السلف: أن السلف يثبتون أزلية الصفات الفعلية بالنوع، بمعنى: أن الله لم يزل متصفا بالخلق، والرزق، والكلام، وغير ذلك، ولم يزل ذلك قائما بذاته؛ وأما الكرامية؛ فإنهم يجعلون الرب معطَّلًا عن هذه الأفعال في الأزل، ثم حدثت له، مغترِّين بجانب التجدد فيها، وهذا لا يستلزم أن يُطلق على النوع أنه حدث بعد أن لم يكن، بل لا بد من الفرق بين النوع والعين، ألا ترى أن من تكلم اليوم، وكان متكلما بالأمس: لا يقال: إنه حدث له نوع الكلام، وإنما حدث له عينه، ولو كان غير متكلم لآفة -كالخرس-، ثم تكلم؛ يقال: حدث له نوع الكلام، فالساكت لغير آفة يسمى متكلما بالقوة والنوع، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء، وفي حال تكلُّمه يسمى متكلما بالفعل.

خامسا: مذهب اللَّفْظِيَّة:

اللفظية على قسمين:

١ -من قالوا: «ألفاظنا بالقرآن مخلوقة».

٢-من قالوا: «ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة».

وهؤلاء جميعا خلطوا بين فعل الرب، وفعل العبد، وبين إضافة الكلام إلى قائله، وإضافته إلى مبلِّغه.

ففعل الرب هو تكلُّمه بالقرآن، وفعل العبد هو لفظه وصوته، ففعل الرب غير مخلوق، وفعل العبد مخلوق، وكلمة «اللفظ» كلمة مجملة، يدخل فيها اللفظ -الذي هو فعل العبد-، والملفوظ به -الذي هو القرآن-، فعندما يقال: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ فهذا قد ينصرف إلى الملفوظ به، وهو غير مخلوق، وعندما يقال: «لفظي بالقرآن غير مخلوق» فهذا قد ينصرف إلى فعل العبد، وهو مخلوق، فأنكر الأئمة على هؤلاء وهؤلاء؛ لأن العبارة مجملة، تحتمل حقا وباطلا.

وهناك فرق بين أن يقال: «كلام الله»، وأن يقال: «كلام جبريل»، فالإضافة في العبارة الأولى إضافة كلام إلى المتكلم به -ابتداء-، وفي العبارة الثانية إضافة كلام إلى ناقله ومبلِّغه، وعندما يقال: «هذا كلام جبريل»؛ فهذا لا يمنع أن يُضاف الكلام إلى الله، كما أن من قال: «إنما الأعمال بالنيات»؛ فهذا قد أدَّاه بلفظه وصوته، ومع ذلك يقال: «هذا كلام رسول الله ﷺ»؛ لأنه هو المتكلم به -ابتداء-؛ ولهذا أُضيف القرآن أحيانا إلى جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [**الحاقة**: ٤٠]، مع أنه ليس كلامه، إنما هو كلام الله، والمقصود بالإضافة: إضافة النقل والتبليغ.

ولمَّا كان في مقولة: «لفظي بالقرآن مخلوق» -خاصة- ستارٌ للجهمية؛ لأنهم أطلقوها وأرادوا نفس القرآن المسموع؛ فقد قال الأئمة: «اللفظية

جهمية»، واشتهر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ فهو جهمي؛ ومن قال: «غير مخلوق»؛ فهو مبتدع».

واستقر قول أهل السنة على التفصيل في المسألة -كما ذكرنا-: أن هذا القرآن هو كلام الله الذي بلَّغه رسوله، والمسلمون يقرؤونه، ويُسمع من القارئ كلام الله؛ لكن يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم، ويسمعونه من القارئ الذي يقرؤه بصوت نفسه، **فالكلام كلام الباريء، والصوت صوت القارئ**.

سادسا: مذهب الواقفة:

يقولون: القرآن كلام الله، ونقف عند هذا، فلا نقول: مخلوق، ولا: غير مخلوق.

وقد استفاض عن الأئمة تبديعُهم، وعَدُّهم من أصناف الجهمية، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم صنف من الجهمية، استتروا بالوقف».

باب
رؤية الله ﷻ في الآخرة

* مسألة (١): أدلة ثبوت الرؤية:

١-قول الله -تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، والنظر إذا تعدَّى بحرف الجر «إلى» أفاد الرؤية البصرية.

٢-قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي رؤية الله -كما سيأتي في الحديث-.

٣-قوله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففون: ١٥]، لمَّا حجب أعداءه؛ دَلَّ على أن أولياءه يرونه؛ وإلا لم يكن بين الفريقين فرق.

٤-عن أبي هريرة رضي الله عنه: **قَالَ أُنَاسٌ: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: «لَا يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»**(١).

٥-عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: **«كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ فَافْعَلُوا»**(٢).

٦-عن صهيب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ؛ قَالَ: يَقُولُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: «تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟»، فَيَقُولُونَ: «أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، قَالَ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[١].

٧-عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[٢].

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

يثبتون رؤية المؤمنين لله ﷻ بأبصارهم، رؤية حقيقية، تشبه رؤية القمر في السهولة واليسر، وليس المقصود تشبيه الله ﷻ بالقمر.

وهذه الرؤية تكون من غير إحاطة بالله ﷻ؛ لقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ **[الأنعام: ١٠٣]**.

وأما الرؤية في الدنيا؛ فإنها ممتنعة بالنظر إلى قصور الخلق عن رؤيته ﷻ، لا بالنظر إلى ذات الرؤية.

واتفقوا على أن رؤية الله في الدنيا لا تقع لأحد؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ**»[٣].

واختلفوا في النبي ﷺ: هل رأى ربه في الدنيا، أم لا؛ والراجح التفصيل:

فإن كان المقصود ليلة المعراج؛ فإنه ﷺ لم ير ربه؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟»، قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»**[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

وإن كان المقصود غير ذلك؛ فقد رآه في المنام، وكان ذلك بالمدينة؛ لحديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن الرسول ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»(١).

واختلفوا في رؤية الكفار لله عَزَّ وَجَلَّ في موقف القيامة، والراجح: أنهم يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان -، ثم يحتجب عنهم؛ ليعظم عذابهم، ويشتد عقابهم؛ لحديث أبي هريرة السابق، في سياقه التام: **قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: «لَا»، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: «لَا»، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: «أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟»، فَيَقُولُ: «بَلَى»، قَالَ: فَيَقُولُ: «أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟»، فَيَقُولُ: «لَا»، فَيَقُولُ: «فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»**(٢)، فلمَّا سُئل عن الرؤية؛ أجاب بثبوتها، ثم أتبع ذلك بتفسيره، وذكر أنه يلقاه الكافر، فظاهره أنه يراه.

*** مسألة (٣): مذاهب أهل البدع:**

أولا: مذهب الجهمية، والمعتزلة:

ينكرون الرؤية، ويتأولون ما ورد في النصوص من النظر: بأنه انتظار الثواب.

وأصل شبهتهم: أن إثبات الرؤية يستلزم أن يكون الرب في جهة.

وقد سبق الجواب عن ذلك في مسألة العلو.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

ومن شبهاتهم الفرعية:

١ -قول الله ﷻ لموسى ﷺ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، من جهة أن النفي بـ«لن» يقتضي التأبيد، أي: لن تراني أبدا.

والجواب: أن هذا لا أصل له في اللغة، وهو خلاف النص القرآني، قال ﷻ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ولو كانت للتأبيد؛ لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء القرآن بالتحديد: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ [يوسف: ٨٠].

٢ -قوله ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والجواب: أنها محمولة على الرؤية في الدنيا، أو على الرؤية المستلزمة للإحاطة بالله ﷻ.

ثانيا: مذهب الأشاعرة:

يثبتون الرؤية؛ ولكن ينفون الجهة، فيقولون: يُرى في غير جهة.

وشبهتهم في قضية الجهة، وقد سبق الجواب عنها.

باب
اليوم الآخر

*** المبحث الأول: فتنة القبر:**

*** مسألة (١): أدلة ثبوتها:**

١-قول الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ففرَّق بين العرض الذي يكون في الدنيا، والدخول الذي يكون في الآخرة، والعرض هو فتنة القبر.

٢-قوله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقد فسَّرته السنة -كما يأتي- بفتنة القبر.

٣-عن أنس رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمِ؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟»، فَيَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، فَيُقَالُ: «انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا». وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: «لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ»، فَيُقَالُ: «لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ»، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[١].

٤-عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير»، ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»، ثُمَّ قَالَ: أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[٢].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

٥-عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ؛ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾»[1].

٦-عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا-»، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ من الدنيا وإقبال إِلَى الْآخِرَةِ؛ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّة، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَر، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولَ: «أيتها النفس المطمئنة، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله ورضوان»، قال: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: «مَا هذه الريح الطيبة؟» فَيَقُولُونَ: «فُلَانُ ابن فُلَانٍ -بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا-، حتى ينتهوا به إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ له فيفتح لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حتى يُنتهَى بها إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ

(١) متفق عليه.

فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فَيَقُولُ: «رَبِّيَ اللهُ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا دِينُكَ؟»، فَيَقُولُ: «دِينِيَ الْإِسْلَامُ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: «هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، فَيَقُولَانِ لَهُ: «وَمَا عِلْمُكَ؟»، فَيَقُولُ: «قَرَأْتُ كتاب الله تعالى فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»، فينادي منادٍ من السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قبره مد البصر. قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه الذي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ»، فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، فَيَقُولُ: «رَبِّ أقم الساعة رب أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدنيا وإقبال إلى الْآخِرَةِ؛ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولَ: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قالوا: «ما هذه الرُّوحُ الخبيثة؟»، فَيَقُولُونَ: «فُلَانُ ابن فُلَانٍ -بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا-، حتى ينتهى بها إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ الأرض السفلى»، فيطرح رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ

ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الْحَجِّ: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ! لَا أَدْرِي»، فَيَقُولَانِ: «مَا دِينُكَ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ! لَا أَدْرِي»، فَيَقُولَانِ: «مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟»، فَيَقُولُ: «هَاهْ هَاهْ! لَا أَدْرِي»، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عبدي، فأفرشوه مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ؛ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ»، «فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه الذي يَجِيءُ بِالشَّرِّ»، فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ»، فَيَقُولُ: «رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ». زَادَ فِي رِوَايَةٍ فِي قِصَّةِ الْمُؤْمِنِ: «حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ ﷻ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ»، وَزَادَ فِي قِصَّةِ الْكَافِرِ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ، فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ ﷻ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»، قَالَ الْبَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ لَهُ فِرَاشٌ مِنَ النَّارِ»[(١)].

❋ مسألة (٢): مذهب أهل السنة:

الإيمان بفتنة القبر، وسؤاله، ونعيمه، وعذابه، على الصفة المذكورة في الأدلة، وأن الله يحيي العبد في قبره حياة خاصة، يعقل بها السؤال والجواب، ويشعر بالنعيم والعذاب.

---

(١) رواه أهل السنن، إلا الترمذي.

وهذه الحياة تسمى «الحياة البَرْزَخِيَّة»؛ أخذا من قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، أو: هو الحاجز عن الرجوع إلى الدنيا.

وتشمل هذه الحياة غير المقبورين، كالمصلوب، والمحروق، ومن أكلته السباع؛ فالتعبير بالقبر إنما هو باعتبار غالب أحوال الموتى.

ومَلَكَا القبر اسمهما: «منكر»، و«نكير»؛ هذا متواتر عن الأئمة، وفيه آثار كثيرة عن السلف، وقد ورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعا: «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ-؛ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرِ: النَّكِيرُ**» الحديث[1]، وفي سنده مقال يسير.

وعذاب القبر لا يختص بالكافرين، بل يتعرض له المسلمون -أيضا- بحسب ذنوبهم، وقد تقدم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن من أسبابه: النميمة، وعدم التنزه من البول.

والعذاب والنعيم يكونان على الروح والبدن -جميعا-، تُنعَّم النفس أو تُعذَّب متصلة بالبدن، ومنفصلة عنه. وأحيانا يقول العلماء: أحكام البرزخ على الروح، والبدن تبع لها، كما أن أحكام الدنيا على البدن، والروح تبع له.

والعذاب قد يكون مستمرا إلى قيام الساعة، وقد ينقطع بحسب ذنوب المسلم.

والأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولا يشعرون بالأحياء؛ لقوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وإن كان المقصود تشبيه الكفار بالموتى، فلولا أن الموتى لا يسمعون؛ لما استقام التشبيه.

(١) رواه الترمذي.

ويستثنى من ذلك ما ورد به النص:

تقدم حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِم**».

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بالحق، ما أخطئوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ». قَالَ: «فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ ابن فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ ابن فُلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا»، قَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟!»، قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا»**(١).

والروح تفنى باعتبار مفارقتها للأجساد، ولا تفنى باعتبار كونها مُنَعَّمة أو مُعَذَّبة بعد المفارقة، حتى تعود إلى الجسد عند البعث.

*** مسألة (٣): مذهب أهل البدع:**

المعتزلة والخوارج ينكرون فتنة القبر.

وأصل شبهتهم -وخصوصا المعتزلة- عقلية:

١- نحن لا نشاهد في الموتى إحياء ولا مساءلة، ولو كشفنا القبور؛ لما وجدنا فيها أثرا لنعيم أو عذاب، ومنهم من تأكله السباع فيتفرق في بطونها، أو تحرقه النار فيذهب في الريح، فلا يتصور في مثل هؤلاء إحياء ولا مساءلة.

(١) رواه مسلم.

٢- لا تُدرَك الحكمة من فتنة القبر، فإن الجزاء إنما يكون في الآخرة.

ومن شبهاتهم الفرعية: الاحتجاج بقول الله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فإثبات حياة في القبر يقتضي إثبات حياة ثالثة.

والجواب:

١-دفع الأمور الغيبية الإيمانية بعدم المشاهدة: أمر لا يحتاج إلى طول كلام في إبطاله، والروح لا تُدرك في الدنيا، فكيف إذا صارت من عالم الآخرة؟!

٢-أن البرزخ أول دار الجزاء، فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار، وتقتضى الحكمة إظهاره، فإذا كان يوم القيامة الكبرى؛ وُفِّيَ أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه، وواصل إلى أهل البرزخ هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة.

٣-ذكر العدد لا ينفى ما عداه أصلا، وقد ذكر الله في القرآن أنه أمات أناسا في هذه الدنيا، ثم أحياهم، وحياة القبر حياة خاصة غير الحياة المعهودة في الدنيا والآخرة، فإثباتها لا يناقض القرآن.

* المبحث الثاني: أشراط الساعة:

أشراط الساعة: هي العلامات التي تدل على قرب وقوعها.

قال الله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ [محمد: ١٨].

وهي على قسمين:

* القسم الأول: علامات صغرى:

وهي التي وقع أكثرها، أو لا يزال يقع، وليس فيها شيء من خوارق العادة.

ومنه:

١-أن تلد الأمة رَبَّتها.

٢-أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

٣-بعثة النبي ﷺ.

٤-موته ﷺ.

٥- قبض العلم.

٦- كثرة الزلازل.

٧- تقارب الزمان.

٨-ظهور الفتن.

٩-كثرة الهَرْج (القتل).

❋ القسم الثاني: علامات كبرى:

وهي التي تشتمل -غالبا- على خرق للعادة، وتكون تمهيدا لقيام الساعة.

وهي المجموعة في حديث حذيفة بن أَسِيد رضي الله عنه، مرفوعا: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[1].

ونكتفي بالتعرض لبعضها:

١-طلوع الشمس من مغربها.

(١) رواه مسلم.

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ؛ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**» **ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ**[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»[2].

والراجح من اختلاف العلماء: أن طلوع الشمس متأخر عن الدجال، وعن المسيح ﷺ؛ وذلك لظواهر الأحاديث أن التوبة لا تقبل أصلا بعد طلوع الشمس من مغربها، فلو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل الدجال؛ لم ينفع اليهودَ إيمانُهم أيام عيسى ﷺ، ولو لم ينفعهم؛ لما صار الدين واحدا بإسلام من أسلم منهم.

وعلى هذا؛ فيُحمل حديث عبد الله بن عمرو في الأَوَّلية على أن المراد: أول الآيات غير المألوفة، والدجال وغيره مألوفون؛ لأنهم بشر.

٢-خروج الدابة.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وتقدم الحديث: «**وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى**».

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم.

٣-خروج المسيح الدجال.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

وأما صفته -تفصيلا-؛ فمما جاء في الأحاديث:

١-أنه أعور العين اليمنى.

٢-مكتوب بين عينيه «كافر»، يقرؤه كل مسلم.

٣- يمكث في الأرض أربعين يوما: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا.

٤-يدعو الناس إلى ألوهيته: فمن آمن به؛ أمر السماء فأمطرت، والأرض فأنبتت، فأصبحوا في رغد من العيش؛ ومن كفر به؛ أصابهم الفقر.

٥-يقتل الرجل، ثم يدعوه، فيقوم حيا.

وقد أنكر الدجالَ الخوارجُ والمعتزلةُ، بدعوى أنه لو كان حقا؛ للزم التباس الصادق بالكاذب.

والجواب:

لا التباس؛ لأنه ادعى الربوبية، ودعا إلى عبادة نفسه، وهو ناقص لا يستطيع

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

دفع النقص عن نفسه، ثم هو مكتوب على جبهته «كافر» يقرؤه كل مسلم، فهذه آية ظاهرة على كذبه، ثم إن الله قد حذَّر عباده منه -على لسان كل نبي-.

٤-نزول المسيح عيسى ابن مريم ﷺ.

ذِكْرُ رَفْعِهِ إلى السماء ورد في القرآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وذِكْرُ نزوله إلى الأرض: ورد في السنة، وحاصل ذلك:

١-أنه ينزل على المنارة البيضاء شَرْقِيِّ دمشق.

٢-يطلب الدجال، فيقتله بباب لُدٍّ (أحد أبواب المسجد الأقصى).

٣-يحكم في الأرض، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.

٥-خروج يأجوج ومأجوج.

ورد ذكرهم في القرآن في قصة ذي القرنين ﷺ.

وحاصل ما ورد بشأنهم في السنة:

١-يخرجون في زمن المسيح ﷺ.

٢-يأمر الله المسيح وأتباعه أن يتحصَّنوا منهم؛ لأنهم لا قدرة لهم على قتالهم.

٣-يسعون في الأرض بالفساد، ويمرُّ أوائلهم -فقط- على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها.

٤-عندما يشتد الحصار بالمسيح وأتباعه؛ يدعون الله ﷻ أن يهلكهم، فيستجيب لهم.

*** المبحث الثالث: إثبات المعاد:**

١-قال الله ﷻ: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

٢-وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٣- وقال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ [آل عمران: ٩].

٤-وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦].

٥-وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩].

٦-وعن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في ذكر الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[١].

٧-وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ...وَالسَّاعَةُ حَقٌّ**»[٢].

والمعاد ثابت بالعقل -أيضا-، وقد قرر الشرع ذلك؛ من وجوه:

١-بيان أن خلق الإنسان سُدًى يتنافى مع الحكمة: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثًا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٢-الاستدلال ببدء الخلق على إعادته: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٣-الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

* **المبحث الرابع: النفخ في الصور:**

١- قال الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

٢- وقال ﷻ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

٣- وقال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، **قَالُوا: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟»، قَالَ: «أَبَيْتُ»، قَالُوا: «أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟»، قَالَ: «أَبَيْتُ»، قَالُوا: «أَرْبَعُونَ سَنَةً؟»، قَالَ: «أَبَيْتُ»، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»، قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١].

٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**»، **قَالَ: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ: رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ»، قَالَ: «فَيُصْعَقُ وَيُصْعَقُ النَّاس، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ -أَوِ الظِّلُّ-، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**»[٢].

٦- وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»[٣].

والذي يتولى النفخَ هو إسرافيل عليه السلام.

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود -واللفظ له-، والترمذي، والنسائي في «الكبرى».

والراجح أنهما نفختان، كما دل عليه ظاهر القرآن والسنة.

وفي المستثنَى من الصعق خلاف، ولا دليل على تعيين طائفة بعينها، فالصحيح أنه مما استأثر الله بعلمه.

*** المبحث الخامس: البعث:**

١-قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٦].

٢-وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ﴾ [المجادلة: ٦].

٣-وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩].

٤-وقال ﷻ: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٩].

٥-وقال ﷻ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

٦-عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ: «كَذَّبَنِى ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّاىَ فَزَعَمَ أَنِّى لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ لِى وَلَدٌ، فَسُبْحَانِى أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**»[١].

وتقدم في المبحث السابق حديث أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو.

*** المبحث السادس: الحشر:**

١-قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ ﴾ [الحجر: ٢٥].

٢-وقال ﷻ: ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

٣-وقال ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩].

٤-عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،** ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ

(١) رواه البخاري.

وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام»[(١)].

فرع:

البهائم تُحشر -حقيقة- يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ [التكوير: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا -وَمِنْ حَقِّهَا: حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا- إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» الحديث[(٢)].

وعنه رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[(٣)].

* المبحث السابع: الشفاعة:

أصل الشفاعة ثابت بالقرآن، وفيه التقييد بإذن الله عز وجل ورضاه.

١-قال الله عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢-وقال عز وجل: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

٣-وقال عز وجل: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

٤ -وقال ﷻ: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٨٧].

والشفاعة -تفصيلا- على أنواع:

*** أولا: الشفاعة الخاصة:**

وهي التي يختص بها النبي ﷺ، وأعظمها:

الشفاعة العظمى، في مجيء الله ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق.

عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ**

---

(١) متفق عليه.

الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ»[(١)].

---

(١) متفق عليه.

* ثانيا: الشفاعة العامة:

وهي التي لا يختص بها النبي ﷺ، بل يشاركه فيها غيره، وأعظمها: الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار.

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[١].

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ -، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[٢].

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) متفق عليه.

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: «إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟»، فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ»، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»(١).

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وهذا النوع من الشفاعة أنكره الخوارج، والمعتزلة، بناء على أصلهم في الإيمان، وحكم العاصي، وأنه لا يجتمع في الرجل ثواب وعقاب؛ ويأتي الكلام على هذا في باب الإيمان -إن شاء الله-.

ثم اتبعوا المتشابه، وذلك في الآيات التي تدل بظاهرها على نفي الشفاعة، نحو قوله ﷻ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

والجواب:

أن القرآن نفسه يثبت الشفاعة -كما تقدم-، فالشفاعة المنفية غير الشفاعة المثبتة، فالشفاعة المنفية هي التي تكون في عدم تعذيب الكفار، أو إخراجهم من النار، أو التي يكون فيها اعتقاد فاسد -كاعتقاد التشريك بين الله والشافع-، وأما الشفاعة المثبتة المقيدة؛ فهي التي فصلتها السنة، فلا معارضة للقرآن.

*** المبحث الثامن: الحساب:**

١- قال الله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

٢- وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

٣- وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦].

٤- وقال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

٥-وقال ﷻ: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

٦-عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**»[١].

والحساب على قسمين:

١-يسير: وهو عرض العبد على ربه ﷻ، فيستره، ويقرره بذنوبه، ثم يغفرها له.

٢-عسير (مناقشة): وهو الذي يتعرض العبد بعده للعذاب.

قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

وعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**»، **قَالَتْ: قُلْتُ:** «**يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ** ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-٨]؟»، **قَالَ:** «**ذَاكَ العَرْضُ، يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ؛ هَلَكَ**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ:** «**أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟**»، **فَيَقُولُ:** «**نَعَمْ أَيْ رَبِّ**»، **حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ:** «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ**»، **فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ؛ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ومن الأمة من يدخل الجنة بغير حساب.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[1].

*** المبحث التاسع: الحوض:**

١ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: «مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»، فَقُلْنَا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**»[2].

٢ - وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»[3].

٣ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[4].

---

(١) مختصر من حديث متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

٤-و عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟»، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(١).

٥-وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: «يَا رَبِّ، أَصْحَابِي»، فَيَقُولُ: «إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى»(٢).

والمشهور: اختصاص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحوض، وما رُوي: أن لكل نبي حوضا: لا يثبت.

* المبحث العاشر: الميزان:

*** مسألة (١): إثبات الميزان:**

١-قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

٢-وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويأتي المزيد فيما يلي.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

*** مسألة (٢): حقيقة الميزان:**

هو ميزان حقيقي، له كفتان حقيقيتان، وله لسان.

*** مسألة (٣): القول في الموزون:**

الموزون على ثلاثة أنواع:

١-الأعمال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(١).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»(٣).

٢-صحائف الأعمال.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟»، فَيَقُولُ: «لاَ يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «أَفَلَكَ عُذْرٌ؟»، فَيَقُولُ: «لاَ يَا رَبِّ»، فَيَقُولُ: «بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ»، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ**

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي.

البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: «إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ»، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

٣-العامل -نفسه-.

عن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]**»(٢).

وعن ابن مسعود رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: «**أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟»، قَالُوا: «يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ»، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٣).

*** مسألة (٤): مذهب أهل البدع:**

المعتزلة تنكر الميزان، وتقول: هو العدل، والقضاء.

وشبهتهم: أن الميزان لا حاجة له.

والجواب:

أن الحكمة منه: ظهور عدل الله عَزَّوَجَلَّ لجميع عباده، وكفى بذلك حكمة، ووراء ذلك ما لا نعلمه.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد.

*** المبحث الحادي عشر: الصراط:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ [أَنَا وَأُمَّتِي] أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**»، قَالُوا: «**بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ**»، قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ**»(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**»، قِيلَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟**»، قَالَ: «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(٢).

وقال أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»(٣).

فرع:

الورود المذكور في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]: هو المرور على الصراط.

عن أم مبشّر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سمعتُ النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»، قَالَتْ: «**بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ**»، **فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ**: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]،

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري، وما بين المعكوفتين لمسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

فقال النبي ﷺ: قد قال الله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢]»(١).

فنفى عنهم الدخول، والإنجاء لا يستلزم أنهم دخلوها، كمن طلبه أعداؤه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، وقد ذكر الله أنه أنجى أنبياءه مع أنهم لم يصبهم عذاب أقوامهم؛ وأيضا: فظواهر أحاديث الصراط تقتضي أن من يمر كالبرق... الخ لم يدخل النار أصلا.

*** المبحث الثاني عشر: الجنة والنار:**

*** مسألة (١): أدلة الثبوت:**

١- قال الله ﷻ: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٤-٢٥].

٢- وقال ﷻ: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١] ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

٣- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ [النساء: ٥٦] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [النساء: ٥٧].

٤- وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥].

---

(١) رواه مسلم.

٥-عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»**[١].

٦-عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: **«وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ»**[٢].

ويأتي المزيد.

*** مسألة (٢): مذهب أهل السنة:**

* الجنة والنار موجودتان، قد خُلقتا.

تقدم قوله عز وجل في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾، وفي الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ؛ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ»**[٤].

وعنه رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: «يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا»، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهْوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»**[٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا»، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا»، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ»، قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا»، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا»، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا»، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: «أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا**»(٢).

* وهما دائمتان، لا تفنيان، ولا يموت أهلهما.

قال عز وجل في أصحاب الجنة والنار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

وقال في الجنة وأهلها: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

وقال في أهل النار: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ»، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ»، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: «يَا أَهْلَ النَّارِ»، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: «وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟»، فَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ»، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»[١].

* مسألة (٣): مذاهب أهل البدع:

أولا: مذهب المعتزلة:

يقولون: الجنة والنار ليستا موجودتين الآن.

وأصل شبهتهم: أن وجودهما الآن لا فائدة منه.

واتبعوا من المتشابه: قوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فلو كانتا موجودتين؛ لوجب فناؤهما عند القيامة.

والجواب:

١-أن النصوص قد دلت على وجودهما دلالة قطعية، فلا بد من تلقيها بالقبول والتسليم -وإن لم تظهر لنا الحكمة منها-.

٢-المراد بالآية: كل شيء كُتب عليه الفناء، والجنة والنار مخلوقتان للبقاء.

ثانيا: مذهب الجهمية:

يقولون: إنهما تفنيان، ولا يجوز بقاؤهما.

وأصل شبهتهم: أن ما ثبت حدوثه استحال بقاؤه.

واتبعوا من المتشابه نفس الآية السابقة، فلا يكون شيء مع الله باقيا.

---

(١) متفق عليه.

والجواب:

١-أن النصوص قد دلت على بقائهما دلالة قطعية.

٢-المراد بالآية نفس ما تقدم: كل شيء كُتب عليه الفناء، والجنة والنار مخلوقتان للبقاء.

٣-بقاؤهما إنما هو بإبقاء الله لهما، فالله هو الذي أبقاهما، وأمسك عنهما الفناء؛ تحقيقا للحكمة في تخليد النعيم والعذاب، وإنما يكون المحذور لو كان بقاء شيء من المخلوقات ذاتيا مع الله -أو من دون الله-.

باب
القدر

*** المبحث الأول: مذهب أهل السنة:**

*** مسألة (١): الإيمان بالقدر إجمالا:**

١-قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

٢-وقال ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

٣-وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، في بيان أركان الإيمان: «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

٤-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ -أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ-**»(٢).

٥-وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ، فَنَزَلَتْ** ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩]»(٣).

*** مسألة (٢): الإيمان بالقدر تفصيلا:**

وذلك في تحقيق أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي الشامل:

فالله ﷻ لم يزل عالما، فعلمه سابق على حدوث الأشياء، وعلمه -أيضا- محيط بكل شيء، لا يخرج منه شيء، وقد علم ﷻ ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

١-قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

٢-وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٣-وقال ﷻ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [المزمل: ٢٠].

٤-وقال ﷻ: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧].

٥-وقال ﷻ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة المقادير:

والكتابة على خمسة أنواع:

١-الكتابة (التقدير) قبل خلق السموات والأرض.

قال الله ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢].

وقال: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال ﷻ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(١).

٢-الكتابة (التقدير) يوم الميثاق.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: «خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**

(١) رواه مسلم.

يَعْمَلُونَ»، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: «خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»(١).

٣-الكتابة (التقدير) عند تخليق الجنين في الرحم.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(٢).

٤-الكتابة الحَوْلية (التقدير الحولي).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٢-٤].

قال السلف: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفَصَّلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكَتَبَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا.

٥-الكتابة اليومية (التقدير اليومي).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال السلف -وروي مرفوعا-: يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) متفق عليه.

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله، وقدرته:

وقد سبقت أدلة هاتين الصفتين في باب الصفات.

والإرادة على قسمين:

١-**إرادة كونية**: وهي التي تقع بها جميع المرادات، سواء أحبها الله وأمر بها، أم لا، وهي مستلزمة لوقوع المراد.

وهي الواردة في مثل قوله ﷻ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

٢-**إرادة شرعية**: تختص بما يحبه الله ويأمر به، ولا يلزم وقوع المراد منها.

وهي الواردة في مثل قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

والفرق بين الإرادة والمشيئة: أن الإرادة هي التي تنقسم إلى كونية وشرعية، وأما المشيئة؛ فلا تأتي -غالبا- إلا كونية.

وبهذا يُعرف أن المعاصي واقعة بإرادة الله؛ ولكن بالإرادة الكونية.

ولماذا أراد الله وقوعها، وهو لا يحبها، ولا يأمر بها؟

الجواب: لأنه يترتب عليها مصلحة أعظم من مفسدتها، فلا بد من وجود الشيء وضده، حتى يتحقق الابتلاء والتكليف.

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق أفعال العباد:

فأفعال العباد مخلوقة لله ﷻ، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

١-قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

٢- وقال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣].

٣- وقال: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٤- وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

٥- وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ، وَصَنْعَتَهُ»**(١).

٦- وعن جابر رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»**(٢).

٧- وعن عليٍّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»**(٣).

وللعباد مشيئة، واختيار.

قال عز وجل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

ومشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله، وتابعة لها، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

* المبحث الثاني: مذاهب أهل البدع:

أولا: مذهب القدرية (وتبعهم فيه المعتزلة):

غلاة القدرية (أوائلهم) أنكروا العلم السابق، وقالوا: إن الله لا يعلم الشيء

(١) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد».

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

حتى يقع.

وسرعان ما انقرضت هذه المقالة.

وصار متأخروهم على إثبات العلم؛ ولكنهم أنكروا خلق أفعال العباد، وقالوا: إن أفعال العباد مخلوقة لهم، ليست مخلوقة لله، والله لا يهدي أحدا، ولا يضل أحدا، بل العبد هو المستقل بجميع ذلك.

وهذا هو المعروف من مذهب المعتزلة.

شبهتهم: القول بأن أفعال العباد مفعولة لله يستلزم وقوع فعل بين فاعلَيْن، ومقدور بين قادرَيْن، وهو محال.

والجواب:

المحال هو: مفعول بين فاعلين، كلٌّ منهما فعله على سبيل الاستقلال، فهذا محال؛ فإن استقلال كلٍّ منهما بفعله ينفي فعل الآخر له؛ وأما فعل العبد لأفعاله وقدرته عليها؛ فذلك مأخوذ من الله، فالله هو الذي أقدره على ذلك، لم يستقل به العبد، فيجوز القول بفعل بين فاعلين مع اختلاف النسبة، فليس المراد أن الفعل قام بالعبد والرب معا، وكل منهما فعله على سبيل الاستقلال، فإن هذا هو المحال، وكذلك الأمر في المقدور، فإنه يمتنع أن يكون بين قادرين على سبيل الاستقلال، ولا يمتنع أن يكون بين قادرين قدرة أحدهما مستفادة من الآخر، وهو المطلوب هنا.

ويلزم من مذهب القدرية هذا إثبات خالق مع الله؛ ولهذا سُمُّوا «مجوس هذه الأمة»، وروي ذلك مرفوعا إلى رسول الله ﷺ، وإن كان لا يثبت.

ثانيا: مذهب الجبرية (الجهمية):

يقولون: إن العباد مجبورون على أفعالهم، والفاعل حقيقة هو الله، وإضافة الفعل إلى العبد إنما هي إضافة مجازية.

شبهتهم: القول بأن العبد فاعل يقتضي إثبات فاعل مع الله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وهذا شرك يتنافى مع التوحيد.

ثم اتبعوا من المتشابه قوله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [**الأنفال: ١٧**]، فدل على أنه لا صنع للعبد.

والجواب:

١-دليل التوحيد إنما ينفي وجود قادرَيْن متكافئَيْن، قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته، ليست مستفادة من الآخر، وأما إثبات قدرة وفعل للعبد هما مستفادان من غيره؛ فلا يتعارض مع التوحيد.

٢-وأما الآية؛ فهي دليل عليهم؛ لأنه ﷻ أثبت لرسوله ﷺ رَمْيًا، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعُلم أن المثبَت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رميا، فالمعنى حينئذ -والله أعلم-: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت! وفساد هذا ظاهر.

ثالثا: مذهب الأشاعرة:

قالوا: إن العبد ليس مُحْدِثًا ولا مُوجِدًا لأفعاله، وإنما يخلقها الله مقارِنةً لقدرة العبد، فيكون الفعل خلقا من الله، وكسبا من العبد؛ لوقوعه مقارنا لقدرته.

وهؤلاء أرادوا أن يتوسطوا بين القدرية والجبرية، فلم يمحِّضوا إثبات الفعل للرب -كما قالت الجبرية-، ولا للعبد -كما قالت القدرية-، بل قالوا: للرب الفعل، وللعبد الكسب.

وبيان خطئهم: أنه من المستقر في الفطرة أن من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك؛ لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم.

*** تتمة: في مسائل:**

*** المسألة الأولى: الاحتجاج بالقدر:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: «أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَ آدَمُ: «أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟»، قَالَ مُوسَى: «بِأَرْبَعِينَ عَامًا»، قَالَ آدَمُ: «فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى؟»، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»(١).

هذا الحديث فهم منه القدرية والجبرية الاحتجاج بالقدر -على معنى رفع اللوم عن العاصي-، فردته القدرية، وأثبتته الجبرية -على هذا المعنى-.

---

(١) متفق عليه.

والصحيح: أن موسى إنما لام آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدر الله قبل خلقي، والقدر يُحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قُدِّرَتْ عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة؟!

*** المسألة الثانية: الحكمة والتعليل، والتعديل والتجوير:**

وصف الله نفسه بالحكمة، وبيَّن أن أفعاله لها علل وأسباب، ونفى الظلم والسَّفَه عن نفسه.

١-قال ﷻ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥].

٢-وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

٣-وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٤-وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٥- وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٦-وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

٧-وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

٨-وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

٩-وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، عن الله عز وجل: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**»[١].

والحكمة: وضع الشيء في موضعه، وضدها: الظلم.

مذهب المعتزلة:

أثبتوا الحكمة على معنى مصلحة الخلق، وأن الله لا يخلق ولا يأمر إلا لذلك، وهذه مسألة الصلاح، وأما رعاية الأصلح؛ فجمهورهم على إيجابها على الله.

وهذا هو الأصل الذي دفع المعتزلة إلى إنكار خلق أفعال العباد؛ لأن منها -بالضرورة- ما ليس صلاحا ولا أصلح لهم، وقد أثبتنا خلق الأفعال، ودخولها تحت المشيئة، فبطل قولهم بالتَّبَع.

وعلى هذا يقال: الحكمة وضع الشيء في موضعه، ومن كان غير أهل للإيمان، فأضله الله؛ فقد فعل به ما يناسبه، وإن لم يكن هو الصلاح ولا الأصلح له، وليس في هذا نقص يُنزَّه عنه الرب.

مذهب الأشاعرة:

نفوا التعليل، وأرجعوا أفعال الرب إلى المشيئة المحضة التي ترجِّح بغير مرجِّح، وقالوا: إن الظلم هو التصرف في غير المِلك، فكل ممكن عدل، ويجوز على الرب أن يعذب المطيعين وينعِّم العصاة.

وشبهتهم: أن تعليل أفعال الله يستلزم أن يكون الله يفعل لغرض وحاجة، وهو منزَّه عن ذلك.

---

(١) رواه مسلم.

واتبعوا من المتشابه:

١-النصوص الكثيرة في أن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فعلَّق الأمر بمجرد المشيئة.

٢- قوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فنصَّ على أن أفعاله لا تُعلَّل.

والجواب:

١-كونه ﷻ يفعل لعلة لا يعني أنه محتاج لغيره، كما أنه خلق الإنسان والعالم لعلة التكليف والابتلاء، وهو غير محتاج إلى ذلك.

٢-قد بيَّن أن أفعاله معلَّلة، فتعليق الأمر بالمشيئة لا ينافي ذلك.

٣-أنه لا يُسأل عما يفعل لكمال حكمته، لا لأنه يفعل لغير علة.

٤-تعذيب المطيع وتنعيم العاصي هو عين الظلم، والله أخبر أنه لا يفعل ذلك، ولا يجوز الخلف في خبره، وهو لا يفعل إلا ما يستقيم كونه عدلا في العقل الصريح، فلا يجوز أن يقال: هو جائز عليه عقلا، وإن كان ممتنعا شرعا.

*** المسألة الثالثة: نسبة الشر إلى الله ﷻ:**

الشر يُنسب إلى الله خلقا وتكوينا، فهو خالق الخير والشر، وهو مريد للشر بالإرادة الكونية -كما تقدم-.

وأما قوله ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(١)؛ فمعناه: لا يضاف إليه فعلا، فلا يقال: إن فعله شر، بل فعله كله خير، والشر -كما تقدم- لم يرده إلا لما يترتب عليه من الخير، فأفعاله كلها خير -بهذا الاعتبار-. أو يقال: إنه لا يخلق شرا محضا،

(١) رواه مسلم، عن عليٍّ رضي الله عنه.

بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كليٌّ أو مطلق؛ فهو منزَّه عنه.

باب
الإيمان

*** * الفصل الأول: مذهب أهل السنة:**

*** المبحث الأول: حقيقة الإيمان:**

*** مسألة (١): تعريف الإيمان في اللغة:**

كثير من أهل العلم على الإيمان هو التصديق.

والأجود: أنه الإقرار. أو: الثقة، وإظهار الخضوع والقبول.

ويدل على هذا: أن التصديق يُستعمل في كل خبر، سواء كان عن مشاهدة أو غيب، وأما الإيمان فإنه مشتق من الأمن، ولا يُستعمل إلا في الأمر الذي يؤتمن عليه المخبر، وهو الغيب، فالإيمان تصديق وزيادة، وهي الائتمان والأمانة.

*** مسألة (٢): تعريف الإيمان في الشرع:**

هو قول وعمل، يزيد وينقص.

والقول قولان:

١- **قول القلب**: وهو المعرفة، والتصديق، واليقين.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [**الحجرات: ١٥**]، فأدخل اليقين في الإيمان.

٢- **قول اللسان**: وهو الشهادتان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1]، فأدخل قول «لا إله إلا الله» في الإيمان.

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

والعمل عملان:

١-عمل القلب: وهو توجُّهه نحو من صدَّق به، بالإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك.

قال ﷻ: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فأدخل الخوف في الإيمان.

وفي الحديث السابق: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»، أدخل الحياء في الإيمان.

٢-عمل الجوارح: كالصلاة، والزكاة، والجهاد، وذكر الله، وقراءة القرآن، ونحو ذلك.

في الآية السابقة: ﴿**وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، فأدخل الجهاد في الإيمان.

وقال ﷻ: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمَّى الصلاة إيمانا.

وفي الحديث السابق: «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قصة وفد عبد القيس: «**فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، قَالَ: «أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ»، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ**»[1]، فأدخل في الإيمان: الصلاة، وغيرها مما ذُكر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ**

(١) متفق عليه.

خُلُقًا»(١)، فأدخل حسن الخلق في الإيمان.

*** مسألة (٣): زيادة الإيمان، ونقصانه:**

القرآن مصرِّح بالزيادة:

١- قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

٢- وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٣- وقال: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

٤- وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والسنة مصرِّحة بالزيادة، والنقص.

سبق الحديث: «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**».

وسبق الحديث: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(٢).

والزيادة تكون بالطاعة، والنقص يكون بالمعصية.

وهما حاصلان في جميع أمور الإيمان، إلا الشهادتين، فلا يُتصور فيهما زيادة ولا نقصان.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

*** مسألة (٤): تقسيم الإيمان إلى أصل، وفرع (كمال):**

ينقسم الإيمان إلى: أصل، وكمال، وينقسم الكمال إلى: واجب، ومستحب.

١-**أصل الإيمان**: هو الذي يزول الإيمان كله بزواله، وهو قول اللسان، وأصل قول القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح.

٢-**الكمال الواجب**: هو الذي يزول الإيمان الواجب بزواله، ويتعرض المسلم حينئذ للوعيد، وهو فعل الواجبات، وترك المحرمات.

٣-**الكمال المستحب**: هو الذي يزول الإيمان المستحب بزواله، ولا وعيد في ذلك، وهو فعل المستحبات، وترك المكروهات، وفضول المباحات.

تنبيه:

سبق أن أصل عمل الجوارح أصل في الإيمان، فمن ترك العمل -بالكلية-؛ فليس بمسلم، ويدل على ذلك أمران:

١-أن النصوص متظاهرة بالاقتران بين القول والعمل، فهما سواء، فكما أن القول منه الأصل ومنه الكمال، فلا بد أن يكون العمل كذلك، ومن ادعى أن العمل كله كمال في الإيمان؛ فلا دليل معه.

٢-أن القاعدة التي دلت عليها النصوص، وانعقد عليها الإجماع: «**التلازم بين الظاهر والباطن**»، فالإيمان الذي في القلب لا بد أن يظهر على الجوارح، وما يظهر على الجوارح دليل على ما في القلب، فالإيمان الواجب لو كان في القلب؛ فلا بد أن يظهر أثره على الجوارح بفعل الواجب وترك الحرام، بحيث لو أخلَّ المسلم بذلك؛ كان دليلا على انتفاء الإيمان الواجب من قلبه، فكذلك أصل

الإيمان في القلب لا بد أن يظهر أثره على الجوارح، بحيث لو أخلَّ الإنسان بذلك؛ كان دليلا على انتفاء أصل الإيمان من قلبه، ومن أثبت إيمانا في القلب لا يظهر أثره على الجوارح؛ فقوله يتناقض مع أصول أهل السنة.

وأما ما ثبت من دخول أناس الجنة لم يعملوا خيرا قط(١)؛ فهذا ليس صريحا في انتفاء العمل -بالكلية-، بل يمكن حمله على أعمال غير مقبولة، أي: لم يعملوا عملا يُقبل منهم، لانتفاء شرط القبول، كمن يصلي رياء، أو بغير طمأنينة، أو نحو ذلك، والعمل إذا كان فاقدا لشرطه؛ فإنه يُنفى، فيقال: لم يعمل، كقول النبي ﷺ للمسيء صلاتَه: «**ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»(٢)، فنفى عنه الصلاة لانتفاء شرطها، مع أنه قد صلى بالفعل.

*** مسألة (٥): حكم تارك الصلاة:**

اختلف أهل السنة في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن تارك الصلاة كافر -مطلقا-.

وحجته:

١-عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(٣).

٢-وعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٤).

---

(١) جزء من حديث الشفاعة المتفق على صحته، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه أهل السنن، إلا أبا داود.

الثاني: أنه ليس بكافر -مطلقا-.

وحجته: حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ؛ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ**»(١).

الثالث: أن الكفر يحصل بترك الصلاة -بالكلية-، وأما الذي لا يحافظ عليها؛ فهو الذي يكون تحت المشيئة.

وحجته: الجمع بين الأدلة.

وهذا القول أصوب.

وفي سائر المباني الأربعة: الزكاة، والصيام، والحج: خلاف -أيضا- بين أهل السنة، والراجح عدم تكفير تاركها.

❊ مسألة (٦): الاستثناء في الإيمان:

وهو قول: «أنا مؤمن -إن شاء الله-»، وما في معناه.

وهو مشروع، ووجهه: خوف التزكية من استكمال الإيمان وبلوغ حقيقته، فالاستثناء يكون للعمل.

وعلى ذلك؛ فالاستثناء ليس بشك، وقد استدل الأئمة على ذلك بورود الاستثناء في الأمور المتيقنة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾ [الفتح: ٢٧].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في دعاء دخول المقابر: «**وَإِنَّا -إِنْ شَاءَ اللهُ- بِكُمْ لَاحِقُونَ**»(٢).

---

(١) رواه أهل السنن، إلا الترمذي، وقد أفردتُه في جزء مع الأحاديث التي هي بمعناه.

(٢) رواه مسلم.

* **مسألة (٧): الفرق بين الإسلام، والإيمان:**

هذان اللفظان من الألفاظ التي بينها عموم وخصوص، فإذا أُطلق أحدهما؛ دخل فيه الآخر، وإذا اجتمعا في السياق؛ كان لكلٍّ منهما معنى مختلف.

فمن الأول: قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

ومن الثاني: حديث جبريل، الذي سأل فيه عن الإسلام والإيمان، فأجاب النبي ﷺ بأن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الاعتقاد الباطن.

* **المبحث الثاني: حقيقة الكفر:**

* **مسألة (١): تعريف الكفر في اللغة:**

الكفر لغة: الستر، والتغطية.

* **مسألة (٢): تعريف الكفر في الشرع:**

الكفر على قسمين:

١-**كفر أكبر**: وهو المُخرج عن الملة، وضابطه: خلاف المعلوم من الدين بالضرورة، باعتقاد أو قول أو عمل.

٢-**كفر أصغر**: لا يخرج عن الملة، وضابطه: كل ذنب أطلق عليه الشرع اسم الكفر، ولم يبلغ ضابط الكفر الأكبر.

* **مسألة (٣): أقسام الكفر:**

الكفر على ستة أقسام:

١- **كفر التكذيب**: وهو اعتقاد كذب الرسل.

٢- **كفر الجحود**: وهو التكذيب باللسان، مع اعتقاد صدق الرسل بالقلب، كما قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

٣- **كفر الإباء والاستكبار**: وهو الترفُّع عن امتثال الأمر، نحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

٤- **كفر الإعراض**: وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة.

٥- **كفر الشك**: وهو أن لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره.

٦- **كفر النفاق**: وهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب.

*** مسألة (٤): بم يقع الكفر:**

يقع الكفر بإحدى ثلاث صور:

١-**بالقلب**: كما تقدم في التكذيب، وغيره.

٢-**باللسان**: كسبِّ الله والرسول والدين، والاستهزاء بهم، وصرف العبادة اللسانية لغير الله.

٣-**بالعمل**: كقتل النبي، ووطء المصحف، وصرف العبادة البدنية لغير الله.

والكفر القولي والعملي المذكوران: كفر -ظاهرا، وباطنا-، لا يشترط فيهما الاستحلال.

*** مسألة (٥): تقسيم الكفر إلى أكبر، وأصغر:**

تقدم تعريف القسمين.

ومن أمثلة الكفر الأصغر في النصوص:

١-قول الله ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢-عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ**

كُفْرٌ»(١).

٣-عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ**»(٢).

٤-عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»(٣).

٥-عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ**»(٤).

وتفسير هذه النصوص: أنها كفر من جهة العمل، يضاد الإيمان الذي هو عمل.

*** المبحث الثالث: حكم العاصي:**

يتعلق بالعاصي ثلاثة أحكام:

الأول: يُنفى عنه اسم الإيمان الواجب، فيقال: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

والدليل على نفي اسم الإيمان الواجب:

١-عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

٢-وعن أبي شريح رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ»**، قِيلَ: **«وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟»**، قَالَ: **«الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»**(١).

الثاني: لا يخرج عن الملة.

الثالث: يتعرض للوعيد، وإنفاذ هذا الوعيد معلق بمشيئة الله، إن شاء أنفذه، وإن شاء أخلفه.

والدليل على هذين الحكمين:

١-قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعل ما دون الشرك داخلا تحت مشيئته، ولو كان كفرا؛ لما فرَّق بينه وبين الشرك.

٢-عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»**(٢).

٣-عن أبي ذر رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام، فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟»، قَالَ: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ»**(٣).

٤-ما تواتر في السنة العملية: أنه ﷺ كان يعامل العصاة معاملة أهل الإسلام.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

*** * الفصل الثاني: مذاهب أهل البدع:**

*** مذهب الجهمية:**

الإيمان هو مجرد المعرفة، والكفر ضدها، وهو: الجهل.

وكل قول وعمل دل الشرع على أنه كفر؛ فإنما ذلك لأنه دليل على انتفاء المعرفة والتصديق من القلب، وأما إذا كان مصدقا بقلبه؛ فإنه يكون كافرا ظاهرا، لا باطنا، أي كافرا في أحكام الدنيا، وهو عند الله مؤمن.

الجواب:

١- يلزمهم أن يكون إبليس واليهود والمشركون مؤمنين.

٢- النصوص واضحة في أن الكفار كانوا يعرفون ربهم.

تنبيه: مذهب الجهمية هذا كفر.

*** مذهب الخوارج، والمعتزلة:**

الإيمان قول وعمل؛ ولكن جعلوا كل ذلك أصولا في الإيمان، بحيث إذا ذهبت آحاده ذهب الإيمان.

والخوارج والمعتزلة يخرجون العاصي من الإيمان والإسلام جميعا، والخوارج تقول فيه: كافر، والمعتزلة تقول: في منزلة بين المنزلتين، وتسمِّيه فاسقا.

ويتفقون على أنه مخلد في النار، لا يخرج منها بالشفاعة، وأما في الدنيا: فالخوارج تجري عليه أحكام الكفار، والمعتزلة تجري عليه أحكام المسلمين.

شبهتهم:

أصل شبهتهم: أنهم جعلوا الإيمان شيئا واحدا، إذا زال بعضه زال كله، فإذا

زال شيء من العمل الواجب؛ فقد زال الإيمان كله، كالحقيقة المركبة إذا ذهب جزؤها ذهبت كلها، كالعشرة إذا زال منها واحد لم تبق عشرة.

واتبعوا من المتشابه:

ما تقدم من أحاديث نفي الإيمان عن العصاة، وأحاديث الكفر الأصغر، والنصوص التي فيها إيجاب النار للعصاة، ووصف بعضهم بالتخليد فيها، وأنه لا يدخل الجنة كذا.

الجواب:

١ -أما كون الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها؛ فهذا صحيح؛ ولكن ما يبقى منها يكفي لبقاء أصل الحكم، فاسم العشرة وإن زال لكن يبقى اسم العدد، والإيمان قد جعله الله مثل الشجرة، فهذا هو المثال الصحيح له، ومعلوم أن اسم الشجرة لا يزول بزوال الأوراق أو الأغصان...الخ، وقد دلت الأدلة الواضحة أن الإيمان يتجزأ ويتفاضل، وأنه لا يلزم من زوال بعض أجزائه زوال أصله، وأن بقاء الأصل هو الذي يُبقي العبد في دائرة الإسلام.

٢ -وأما ما احتجوا به من النصوص؛ فلا بد أن يُفهم في ضوء الأدلة الصريحة على كون العاصي مسلما، وأنه في المشيئة، على التفصيل التالي:

أما أحاديث نفي الإيمان عن العصاة؛ فالمقصود نفي حقيقة الإيمان وكماله الواجب، لا نفي الإيمان جملة، وفي كلام العرب نفي الشيء لنفي كماله الواجب، كما يقولون لمن صنع بيتا لم يحسنه: «ما صنعت شيئا»، وشاهده في الشرع: حديث المسيء صلاته، وقد تقدم وجه دلالته.

وأما أحاديث الكفر الأصغر؛ فالمراد بها الكفر من جهة العمل -كما تقدم-، أو أن هذه الأقوال والأعمال من أخلاق الكفار.

وأما نصوص الوعيد؛ فالمراد: أن هذا هو جزاء العاصي الذي توعَّده الله به، وأما إنفاذ هذا الوعيد؛ ففي مشيئة الله -كما سبق-.

*** مذهب المرجئة:**

الإيمان هو التصديق والقول، دون العمل، فأخرجوا عمل الجوارح عن الإيمان، وإذا سمَّوه «إيمانا»؛ فذلك مجاز، لا حقيقة.

والإيمان لا يزيد، ولا ينقص، فالعاصي مؤمن كامل الإيمان.

شبهتهم:

أصل شبهتهم: ما تقدم من شبهة الخوارج والمعتزلة، وقد فرُّوا منها بإخراج العمل من الإيمان، والتصديق والقول -عندهم- لا يقبل التفاضل.

وضمُّوا إلى ذلك: أن الإيمان في اللغة هو التصديق، فهذا هو معناه حقيقة، وإطلاقه على الأعمال مجاز.

واتبعوا من المتشابه:

١-النصوص الكثيرة في المغايرة بين الإيمان والعمل، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢-أحاديث فضل كلمة التوحيد، نحو: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ؛ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»(١).

الجواب:

١-سبق الرد على أصل الخوارج والمعتزلة، وبيان حقيقة الإيمان في اللغة.

٢-وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل

---

(١) رواه مسلم بنحوه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

داخلا في مسمى الإيمان: فقد سبقت الدلائل الواضحة على أن العمل من حقيقة الإيمان، وأنه يدخل فيها عند الإطلاق، فحيث عُطفت عليه الأعمال فالمراد أنه لا يُكتفَى بإيمان القلب، بل لا بد معه من الأعمال الصالحة.

٣-وأما أحاديث فضل كلمة التوحيد؛ فالمراد: كلمة التوحيد المصاحبة للإيمان الكامل.

*** مذهب الكلابية، والأشاعرة:**

أما ابن كلاب؛ فمذهبه مذهب المرجئة المذكور.

وأما الأشعري؛ فالمشهور عنه: مذهب الجهمية المتقدم.

*** مذهب الماتريدية:**

الإقرار باللسان ركن زائد وليس بأصلي، بمعنى أن الإيمان -أصالة- هو مجرد ما في القلب، والقول الظاهر إنما هو شرط لثبوت الأحكام في الدنيا.

وهذا القول -في الحقيقة- هو قول الجهمية.

*** مذهب الكرامية:**

الإيمان هو القول فقط، فكل من أظهر الإيمان بلسانه؛ فهو مؤمن حقا.

فالمنافقون -عندهم- مؤمنون كاملو الإيمان؛ ولكنهم يستحقون الوعيد الذي أوجبه الله لهم.

الجواب:

القرآن نفسه قد نفى عن المنافقين الإيمان ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨].

باب
الصحابة

❊ ❊ الفصل الأول: مذهب أهل السنة:

❊ المبحث الأول: التفضيل:

❊ مسألة (١): التفضيل العام للصحابة:

الصحابة خير الناس بعد الأنبياء، والأدلة على ذلك متكاثرة -كتابا، وسنة-.

١- قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٢-وقال ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨].

٣-وقال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤-وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

٥-وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا**

---

(١) متفق عليه.

يُوعَدُونَ»[١].

ويأتي مزيد من الأدلة.

فرع: من هو الصحابي؟

القول المختار، الذي عليه أهل الحديث: أن الصحابي هو من لقي النبيَّ ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، سواء طالت صحبته أم قصرت.

فرع: هل يفضَّل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم؟

أطلق ذلك غير واحد من الأئمة، وهو المعروف من قول أهل السنة.

وذهب بعض العلماء إلى أنه يكون بعد الصحابة من هو أفضل من بعضهم، وخصُّوا ذلك بمن له رؤية، ونحو ذلك، دون من ثبتت فضيلته على جميع الأمة -كالأربعة-.

والصحيح: التفريق بين التفضيل المطلق والتفضيل المقيد، فالأول للصحابة، والثاني لغيرهم -في باب الأجر، أو الزهد، أو العلم، أو نحو ذلك-، والعبرة في التفضيل المطلق بمجموع الفضائل، وهو في جانب الصحابة.

*** مسألة (٢): تفضيل المهاجرين، والأنصار:**

١- قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ **[الأنفال: ٧٤]**.

٢- وقال ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ

(١) رواه مسلم.

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨-٩].

٣-وعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ»**[١].

٤-وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»**[٢].

والمهاجرون أفضل من الأنصار، والحديث الأخير نص في ذلك.

*** مسألة (٣): تفضيل العشرة:**

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»**[٣].

*** مسألة (٤): تفضيل أهل بدر:**

عن عليٍّ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**[٤].

*** مسألة (٥): تفضيل أصحاب الشجرة:**

قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي، والنسائي في «الكبرى».

(٤) متفق عليه.

وعن أم مبشِّر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن الرسول ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(١).

* **مسألة (٦): تفضيل آل بيت النبي ﷺ:**

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [**الأحزاب: ٣٣**].

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، في خطبة غدير خُمٍّ: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ... وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»(٢).

وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(٣).

* **مسألة (٧): تفضيل أزواج النبي ﷺ:**

هن داخلات في آل البيت.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ**﴾ [**الأحزاب: ٦**].

فرع: التفضيل بين خديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

للعلماء خلاف في ذلك.

والصحيح أن الفضيلة المطلقة لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

وأما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فلها الفضيلة المقيدة، في كونها بلَّغت العلم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتفعت بها الأمة.

وأما حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»؛ فنصه التام: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ؛ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ...**»(١)، فهذا ظاهر في أن فضيلة عائشة المذكورة ليست على كل النساء، وإنما هي على من لم يكمل منهن، فليست إذن أفضل من مريم، وقد سوى الحديث السابق بين خديجة ومريم.

*** مسألة (٨): تفضيل من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده:**

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

*** مسألة (٩): تفضيل الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي:**

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ**»(٢).

فأما الشيخان -أبو بكر، وعمر-؛ فلم يقع فيهما خلاف.

وإنما كان الخلاف قديما في التقديم بين عثمان وعلي، ثم في التربيع بعلي.

والذي استقر عليه أمر أهل السنة: أن عثمان هو الثالث، وأن عليا هو الرابع.

فأما التثليث بعثمان؛ فالحديث السابق نص في ذلك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

وأما التربيع بعلي؛ فالحجة فيه أمران:

١-دليل الخلافة: فإن خلافة علي ثابتة، والأصل أن الخلافة في ذلك الزمان كانت تُعقد للأفضل؛ فإنه كان وقت سعة واختيار، ولا حاجة بالصحابة أن يولوا أحدا على من هو أفضل منه.

٢-دليل الفضائل: فكل من تأمل في فضائل علي الخاصة؛ علم أنه كان أفضل الصحابة بعد عثمان.

وأما قول المؤلف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا -عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ-»؛ فهذا إنما يتنزل على الخلاف القديم، وأما بعد استقرار المسألة، وانعقاد الإجماع عليها؛ فلا شك في تبديع من خالف.

*** المبحث الثاني: الخلافة:**

المقصود هنا خلافة الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

والدليل على خلافتهم -إجمالا-:

عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، في حديث طويل: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»(١).

وعن سَفِينة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ**». قَالَ سَفِينَةُ: «أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ»(٢).

---

(١) رواه أهل السنن، إلا النسائي.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي في «الكبرى».

١-فأما خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد ثبتت ببيعة الصحابة له، وقد أشار لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[١].

٢-وأما خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد ثبتت باستخلاف أبي بكر له.

٣-وأما خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد ثبتت ببيعة الصحابة له، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما طُعن قد جعل الخلافة شورى بين المسلمين في ستة نفر: عثمان، وعلي، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف؛ فانتهى الأمر إلى عثمان وعلي، فأجمع الصحابة على تقديم عثمان.

٤-وأما خلافة علي؛ فقد ثبتت بمبايعة جمهور الصحابة له.

* المبحث الثالث: الفتن التي وقعت بين الصحابة:

جملة القول في ذلك: الكفُّ عما شجر بين الصحابة، مع سلامة الصدور للجميع، والقول الحسن في الجميع.

والعمدة في ذلك:

١- قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [**الحشر**: ١٠]، فأمر بالاستغفار لهم، مع علمه بما سيقع بينهم.

٢-عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

٣-عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي؛ فَأَمْسِكُوا**»[١].

والسبب في ذلك:

١-أنهم كانوا مجتهدين متأوِّلين، فلم يكن اقتتالهم على الدنيا، ولا على دعوى الخلافة، فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -مثلا- عندما قاتل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لم يكن يدعي الخلافة لنفسه، بل كان يرى أن القصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أولى بالتقديم من الخلافة.

٢-أن ذنوبهم وقعت مغفورة؛ لأن الله وعدهم الحسنى والجنة -مع علمه بما سيقع منهم-، ولا يجوز الخلف في خبر الله عَزَّ وَجَلَّ.

❊ ❊ الفصل الثاني: مذاهب أهل البدع:

مذهب الخوارج:

يكفرون عليا ومعاوية، ومن والاهما.

وهم ما خرجوا -أصلا- إلا بناء على واقعة التحكيم، لمَّا وقعت الحرب بين الفريقين في صِفِّين، وطلب أهل الشام أن يُبعث حَكَمٌ منهم، وحكم من طائفة علي، فمن رأوا الحق معه؛ أطاعوه.

فأنكرت الخوارج ذلك، وقالت في علي: حكَّم الرجال في أمر الله، واعتزلوه، وكفَّروه.

مذهب الكرامية:

علي إمام، ومعاوية إمام، ويجوز نصب إمامين في وقت واحد، إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد.

---

(١) رواه الطبراني.

مذهب المعتزلة:

هم مختلفون:

فمنهم من قال: الجميع فساق، علي ومخالفوه.

ومنهم من قال: بل الفاسق طائفة واحدة؛ ولكن لا نعلم عينها.

ولهم أقوال أخرى.

مذهب الأشاعرة:

الجميع مجتهد مصيب.

مذهب الشيعة، والرافضة:

أما الشيعة؛ فهم الذين كانوا يناصرون عليا رضي الله عنه، وكانوا يقدِّمونه على عثمان رضي الله عنه.

وأما الرافضة؛ فلم يظهروا إلا لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحَّم عليهما، فرفضه قوم، فقال: «رفضتموني!»، فسُمُّوا «رافضة»، وتولاه قوم، فسُمُّوا «زيدية» لانتسابهم إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية، وزيدية.

وظهرت حينئذ من الرافضة مسألة شتم الصحابة، وتطور مذهبهم إلى ما هو معروف عنهم اليوم.

وأصل مذهبهم المعروف: أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على خلافة علي رضي الله عنه نصا قاطعا، فكتمه الصحابة، واغتصبوا حق علي، فكفروا بذلك.

وأن الإمامة والحق في علي وأولاده من بعده على هذا الترتيب: علي أبو الحسن المرتضى، الحسن أبو محمد الزكي، الحسين أبو عبد الله الشهيد، علي

أبو محمد زين العابدين، محمد أبو جعفر الباقر، جعفر أبو عبد الله الصادق، موسى أبو إبراهيم الكاظم، علي أبو الحسن الرضا، محمد أبو جعفر الجواد، علي أبو الحسن الهادي، الحسن أبو محمد العسكري، محمد أبو القاسم المهدي.

ولهذا يُسمَّون: «الإمامية»، و«الاثنى عَشْرية»؛ لقولهم باثني عشر إماما.

ومما شبَّهوا به في دعوى النص على علي -من مرويات أهل السنة-:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: «ائْتُونِى بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ: «إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا». فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ. قَالَ: «قُومُوا عَنِّى، وَلاَ يَنْبَغِى عِنْدِى التَّنَازُعُ». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِه»[1].

والجواب:

١- المراد العهد إلى أبي بكر -كما فسره الحديث الآخر الذي ذكرناه قريبا-، والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع؛ علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه، كما قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

٢- وأما عمر فاشتبه عليه: هل كان قول النبي ﷺ من شدة المرض، أو كان من أقواله المعروفة التي يجب قبولها؟ والمرض جائز على الأنبياء، والشك جائز على عمر، فإنه لا معصوم إلا النبي ﷺ، لا سيما وقد شك بشبهة.

---

(١) متفق عليه.

٣- وقول ابن عباس: «إن الرزية...» يقتضي أن هذا الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، أو اشتبه عليه الأمر؛ فإنه لو كان هناك كتاب؛ لزال هذا الشك، فأما من علم أن خلافته حق؛ فلا رزية في حقه.

٤- ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي؛ فهو ضال -باتفاق علماء السنة، والشيعة-، أما أهل السنة؛ فمتفقون على تقديم أبي بكر، وأما الشيعة القائلون بأن عليا كان هو المستحق للإمامة؛ فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصا جليا ظاهرا معروفا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب.

٥- لو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته؛ لكان النبي ﷺ يبيِّنه ويكتبه، ولا يلتفت إلى قول أحد، فعُلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجبا، ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ، إذ لو وجب؛ لفعله.

فرع: حكم سب الصحابة:

فيه تفصيل:

١- الحالة المكفِّرة: وهي السب الذي يعود إلى العدالة والدين، كتكفير الصحابة أو تفسيقهم؛ لتضمُّنه تكذيب القرآن، وإبطال الدين، وكذا من اقترن بسبه شيء من دعوى الرافضة الكفرية، كالقول بأن جبريل غلط بالوحي، أو أن القرآن ناقص، أو نحو ذلك، وكذا من قذف عائشة بما برأها الله منه.

٢- الحالة المفسِّقة: وهي السب الذي لا يعود إلى العدالة ولا الدين، كالوصف بالبخل أو الجبن أو قلة العلم والزهد أو نحو ذلك.

٣- الحالة المترددة بين التكفير والتفسيق: وهي اللعن والتقبيح مطلقا، فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وضابط السب: الكلام الذي يُقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يُفهم منه السب في عقول الناس -على اختلاف اعتقاداتهم-.

مذهب الزيدية:

تقدمت قصتهم ونشأتهم، وأن أصل مذهبهم الإقرار بخلافة أبي بكر وعمر، وتقديمُهما على علي.

ثم افترقوا على ثلاث فرق:

١- الجارودية -أتباع أبي الجارود-: وهم أشبه الزيدية بالرافضة، يزعمون أن النبي ﷺ نصَّ على علي بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد رسول الله ﷺ.

٢- السُّلَيْمانية -أصحاب سليمان بن جرير-: يزعمون أن الإمامة شورى، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها قد تصلح في المفضول، وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر، وقد قيل إنها كانت خطأ لا يفسق صاحبها لأجل التأويل.

٣- البُتَرِيَّة -أصحاب كُثَيِّر النَّوَّاء-، قيل: سموا «بترية» لأن كُثَيِّرًا كان يلقب بالأبتر، يزعمون أن عليا أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ؛ لأن عليا ترك ذلك لهما.

باب
الموقف من الحكام
ولزوم الجماعة

* الفصل الأول: لزوم الجماعة:

*** مسألة (١): الأدلة على لزوم الجماعة:**

١- قال الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

٣- وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»**(١).

٥- وعن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ؛ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ»**(٢).

٦- وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ»**(٣).

*** مسألة (٢): معنى «الجماعة» المأمور بلزومها:**

الجماعة لها ثلاثة معان متلازمة، لا بد من تحقيقها -جميعا-، ولا يتم أحدها إلا بالآخر:

١- الاجتماع والائتلاف.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) جزء من حديث الفتن المعروف، الذي رواه الشيخان.

٢- الحق والهدى.

٣- المجتمع المسلم الذي يدين لحاكم واحد بالسمع والطاعة.

والمعنى الثاني هو الأصل والأساس، فلا اجتماع إلا على الحق، والحق قد أمر بلزوم جماعة الإمام المسلم، وهذا هو المراد بقول من قال من السلف: «إنما الجماعة ما وافق الحق، وإن كنتَ وحدك».

*** الفصل الثاني: الموقف من الحكام:**

*** المبحث الأول: مذهب أهل السنة:**

*** مسألة (١): صفة الحاكم الشرعي:**

الأصل -في حال السعة والاختيار- أن الحاكم يتولى حكمه بالطريقة الشرعية: البيعة، أو الاستخلاف.

البيعة: هي العهد على الطاعة، وتكون من أهل الشوكة والقدرة (أهل الحَلِّ والعَقْد)، يقومون بتنصيب الحاكم، ويعاهدونه على الطاعة، وبيعتهم مُلزمة لجميع الناس.

الاستخلاف: هو عهد الحاكم الحالي إلى شخص معين أن يتولى الحكم بعده.

وعندئذ لا بد أن يستوفي شروط الإمامة المقررة لدى أهل العلم:

الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والعدالة، وسلامة الحواس والأعضاء، والعلم، وحسن الرأي، والشجاعة، والقرشية.

وأما في حال الضيق والاضطرار، لو تولى الحاكم بطريق غير مشروع -كالتغلب بالقوة-؛ فإن ولايته يُعتد بها؛ حقنا للدماء، وحفظا للمصالح، ما دام مسلما، وإن كان غير مستوف لشروط الإمامة.

والدليل: عن أبي ذر رضي الله عنه: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»(١).

وجه الدلالة: أن العبد ليس أهلا للإمامة، ولاسيما إن كان -مع ذلك- مجدع الأطراف، فلا يمكن أن يتولى إلا قهرا، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعته.

* مسألة (٢): الموقف الشرعي من الحاكم المسلم:

١- قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ، إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي سَرِيَّةٍ»(٢).

٢- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(٣).

٣- وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ»، وفي رواية: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»(٤).

٤- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه، والرواية المذكورة لمسلم.

وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟**»، فَقَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ؛ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(١).

٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(٢).

حاصل ما دلت عليه هذه الأدلة:

١-اعتقاد إمارة الحاكم.

٢-السمع والطاعة له في المعروف، وفي المعصية: لا طاعة له، من غير نقض لبيعته، ولا خروج عليه.

فرع: صفة الخروج:

الخروج المنهي عنه هو: كل ما فيه مفارقة للطاعة والجماعة، وهو على ثلاثة أقسام:

١- خروج بالقلب: وهو اعتقاد جواز الخروج.

٢- خروج بالقول: وهو التحريض على الخروج، والتثبيط عن الطاعة.

٣- خروج بالعمل: وهو قتال السلطان.

فرع: موضع جواز الخروج:

لا يجوز الخروج إلا في إحدى حالتين:

١-الكفر البواح. ٢-ترك الصلاة.

ولا بد -عند مباشرة الخروج- من تحقُّق القدرة، والإتيان بالبديل.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

*** مسألة (٣): لزوم جماعة السلطان:**

يكون ذلك بأداء الحقوق، والقيام بالواجبات، التي لا تتحقق إلا في جماعة، ومنها:

١- الصلاة خلف الحاكم.

٢- دفع الصدقات إليه.

٣- الحج والجهاد معه.

ويلتحق بذلك -أيضا-: الدعاء له بالصلاح.

*** المبحث الثاني: مذهب أهل البدع:**

مذهب الخوارج والمعتزلة: الخروج على الحاكم الفاسق.

وهذا له علاقة بأصلهم في الإيمان، وحكم الفاسق.

وأصلهم هنا: أن الفاسق خارج عن أهلية الإمامة، فوجب خلعه.

الجواب:

هذا مصادم للنصوص، فإنها مبيِّنة أن الفاسق لم يخرج عن أصل الإمامة، وأهل البدع لم يفرقوا بين أصلها وكمالها.

باب
مسائل متفرقة

*** مسألة: الموقف من كرامات الأولياء[1]:**

أولا: صفة الولي:

هو المؤمن التقي؛ لقوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، بلا شرط خاص: من علم، أو عبادة، أو زِيٍّ، أو نحو ذلك.

والولاية تتفاضل، فكلما كمل إيمان المسلم وتقواه، كلما كملت ولايته.

ثانيا: معنى الكرامة:

هي شيء من خوارق العادات، يكرم الله به من شاء من عباده الصالحين، وقد تكون في الأمور الحسية -ككرامة مريم-، وقد تكون في الأمور المعنوية -كالعلم، وإجابة الدعاء-.

والكرامة صارت تختص عرفا بمن دون الأنبياء، وهي قسيم لآيات (معجزات) الأنبياء.

ثالثا: أمثلة من كرامات الأولياء الثابتة في الكتاب، والسنة:

١-كرامة مريم رضي الله عنها في أنها كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

٢-كرامة سارة رضي الله عنها في الولادة وهي عجوز.

٣-كرامة أصحاب الكهف.

٤-قصة أصحاب الغار.

٥-قصة غلام أصحاب الأخدود.

---

(١) هذه المسألة موجودة في بعض نسخ المتن.

٦-قصة جُرَيْج العابد.

٧-ما رواه أنس رضي الله عنه: **«أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، حَتَّى تَفَرَّقَا، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا»**[1].

٨-كرامة خُبَيْب بن عدي رضي الله عنه، لمَّا أكل من قِطْف عنب، وهو أسير مربوط، وما بمكة من ثمر.

رابعا: مذهب أهل البدع:

المعتزلة وأهل الكلام ينكرون الكرامات، بدعوى التباس النبي بغيره.

والفرق: أن آيات الأنبياء مختصة بهم، جنسها غير معتاد لغيرهم، وأما الأولياء؛ فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء، وأعمال الشخص وصفاته من أعظم ما يدل عليه، فالأنبياء صالحون يدعون إلى الخير، والسحرة بخلاف ذلك.

---

(١) رواه البخاري.

*** مسائل في الاتباع:**

أولا: اتباع السنة:

١-قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

٢-وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

٣-وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

٤-وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٥-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ**»[١].

٦-وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، في حديث طويل: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»[٢].

٧-وعن المقدام بن معدي كَرِبَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ...**» الحديث[٣].

والسُّنة لغة: هي الطريقة، والعادة، والمنهج.

وشرعًا: ما ورد عن النبي ﷺ، من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، أو صفةٍ.

وهذا هو التعريف الذي يُراد في مقام الاتباع، الذي يقابله الابتداع والإحداث في الدين.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أهل السنن، إلا النسائي.

(٣) رواه أبو داود -واللفظ له-، والترمذي، وابن ماجة.

ثانيا: اتباع السلف:

١- قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

٢- وقاله ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

٣- وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

٤- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

٥- وقال ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قِيلَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هِيَ؟**»، قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**». وفي رواية: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ، وَأَصْحَابِي**»(٢).

والسلف لغة: السابقون، والمتقدمون.

واصطلاحا: الصحابة رضي الله عنهم، ومن يليهم من القرون المفضَّلة في الإسلام.

ثالثا: اجتناب البدع:

١- قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، وغيره، عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

٢-وقال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

٣-وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٤-وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

٥-وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

والبدعة لغةً: الشيء الجديد المخترع.

واصطلاحًا -وهو المعنى المذموم شرعا-: طريقة مخترعة في الدين، تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله -تعالى-.

رابعا: حجية الإجماع:

١-قال ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

٢-وقال ﷻ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ؛ فَلْيَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ**»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة.

(٣) رواه الترمذي -واللفظ له-، والنسائي في «الكبرى».

٤-وعن ثوبان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[١].

والإجماع لغة: العزم، والاتفاق.

واصطلاحا: اتفاق جميع مجتهدي العصر من أمة النبي ﷺ بعد وفاته على حكم شرعي.

وقد قال المؤلف رحمه الله: إن الإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة.

وهذا صحيح -إلى حد كبير-؛ لكن لا مانع من وقوع الإجماع بعدهم؛ لأن المجتهدين قليلون معروفون، وشأنهم البحث والنظر، ويمكن معرفة أقوالهم بمشافهة بعضهم، والنقل المتواتر عن الباقين: بأن يُنقل من أهل كل قطر مَنْ يحصل التواتر بقولهم عمن فيه من المجتهدين مذاهبَهم.

(١) رواه مسلم.

*** مسألة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:**

١- قال الله ﷻ: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢- وقال ﷻ: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣- وقال ﷻ: ﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [الحج: ٤١].

٤- وقال ﷻ: ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

٥- وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

المعروف لغة: الشيء الحسن، الذي تطمئن إليه النفس.

والمعروف شرعا: ما كان حسنا في نفسه، وأمر به الشرع، سواء كان واجبا، أو مستحبا.

والمنكر لغة: الشيء القبيح، الذي تنفر منه النفس.

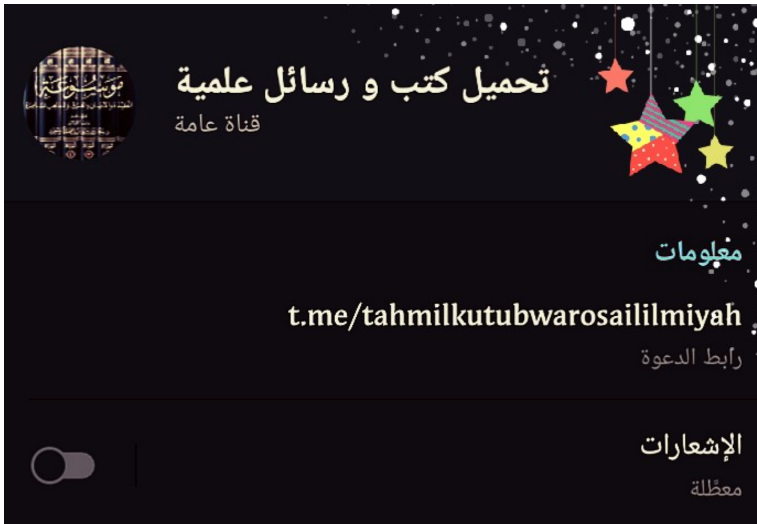
والمنكر شرعا: ما كان قبيحا في نفسه، ونهى عنه الشرع، سواء كان محرما، أو مكروها.

---

(١) رواه مسلم.

فالأمر بالمعروف: هو الأمر بما أمر به الشرع، وحكمه حكم المأمور به، فالأمر بالمعروف الواجب: واجب، والأمر بالمعروف المستحب: مستحب.

والنهي عن المنكر: هو النهي عما نهى عنه الشرع، وحكمه حكم المنهي عنه، فالنهي عن المنكر الحرام: واجب، والنهي عن المنكر المكروه: مستحب.



❊ مسألة: من صفات أهل السنة الخُلُقية:

أهل السنة لا يقتصرون على التمسك بأصول الاعتقاد، بل يتمسكون بجادة العمل الصالح، والخلق الحسن، وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئا من ذلك.

تنبيه:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيهم الأبدال».

الأبدال: طائفة من الصالحين، رُوي فيهم حديث لا يصح، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال الأربعين رجلا، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا».

والذين تكلموا بلفظ الأبدال أرادوا معنيين:

١ -أنهم أبدال الأنبياء.

٢ -أو أنهم أبدلوا أعمالهم السيئة بأعمال صالحة.

والصواب: أن هذا لا يختص بطائفة، ولا عدد، فالقول هنا من جنس القول في صفة الأولياء، وقد سبق.

❊ ❊ ❊

الفهرس